دَفعُ شُبَه التَّشبيه

بأكفِّ التنزيه

تأليف

الإمام عبد الرحمن ابن الجوزي

تحقيق وتعليق

وكيل المشيخة الإسلامية في الدولة العثمانية

الأستاذ العلامة محمد زاهد الكوثري

إصدار

واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم - فلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة موجزة للإمام عبد الرحمن ابن الجوزي(*)

اسمه وكنيته:

هو الإمام الحافظ، الفقيه المفسِّر، الواعظ المؤرخ، صاحب التصانيف، العلامة الشيخ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي التيمي البكري البغدادي المعروف بابن الجوزي.

نسبه:

يعود نسبه رحمه الله تعالى إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، فهو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

مولده:

كانت ولادته رحمه الله تعالى عام 511 هجري الموافق 1117 رومي على الراجح الذي نقل عنه، بدرب حبيب من أعمال بغداد.

نشأته ودراسته:

نشأ رحمه الله تعالى نشأة صالحة في أحضان عمَّةٍ له، إذ توفي أبوه وعمره ثلاثة أعوام، فأعطته من حرصها وعنايتها ما جعله مقدَّمًا على أقرانه، وحملته إلى مسجد الإمام أبي الفضل محمد بن ناصر فتلقى منه الرعاية التامة والتربية الحسنة وأسمعه الحديث.

وعلى الرغم من فراق والده له في سنٍّ مبكرة إلا أن الثروة التي تركها له ساعدته في توجهه لطلب العلم وتفرغه لذلك، قنع باليسير واستسهل كل الصعاب والمحن، وانكب رحمه الله تعالى على طلب العلم حتى قال عن نفسه: "ولقد كنت في مرحلة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل، لأجل ما أطلب وأرجو"، وكان يقول أيضًا: "كنت في زمان الصِّبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها شربة، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم"، وكان رحمه الله تعالى كثير الاطلاع مشغوفًا بالقراءة، فقد حكى عن نفسه أنه طالع عشرين ألف مجلد أو أكثر وهو ما يزال طالبًا.

وقد كان الإمام رحمه الله تعالى منذ طفولته ورعًا تقيًّا زاهدًا، فكان لا يلعب مع الصبية، ولا يأكل شيئًا فيه شبهة، ولا يحب مخالطة الناس خوفًا من ضياع الوقت ووقوع الهفوات؛ يصون بذلك نفسه وروحه.

(*) مصادر الترجمة هي: (مشيخة ابن الجوزي) للمترجم له، و (ذيل طبقات الحنابلة) لابن رجب الحنبلي، و(تذكرة الحفاظ) للذهبي، و(البداية والنهاية) لابن كثير، و(مؤلفات ابن الجوزي) لعبد الحميد العلوجي.

شيوخه:

ألف رحمه الله تعالى كتابًا خاصًّا في مشيخته وذكر فيه حوالي تسعة وثمانين شيخًا من خيرة أعلام عصره، وفي ذكرهم يقول رحمه الله تعالى: "حملني شيخنا ابن ناصر إلى الأشياخ في الصغر وأسمعني العوالي، وأثبت سماعاتي كلها بخطه، وأخذ لي إجازات منهم، فلما فهمت الطلب كنت ألازم من الشيوخ أعلمهم، وأُوثِرُ من أرباب النقل أفهمهم، فكانت همَّتي تجويد المدد لا تكثير العدد"، ومن مشايخه رحمه الله تعالى:

1. الإمام المحدِّث الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد السلامي البغدادي رحمه الله تعالى المتوفى عام (550 هجري الموافق 1155 رومي).
2. الإمام الحجة أبو بكر محمد بن عبد الباقي رحمه الله تعالى المتوفى عام (535 هجري الموافق 1140 رومي).
3. الإمام المحدِّث أبو بكر محمد بن الحسن بن علي بن إبراهيم المعروف بالمزرعي رحمه الله تعالى المتوفى عام (527 هجري الموافق 1132 رومي).
4. الإمام العلامة أبو الحسن علي بن عبد الواحد الدينوري رحمه الله تعالى المتوفى عام (521 هجري الموافق 1127 رومي).
5. الإمام العلامة أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي رحمه الله تعالى المتوفى عام (548 هجري الموافق 1153 رومي).
6. الإمام المحدِّث أبو سعد أحمد بن محمد بن الحسن بن علي البغدادي رحمه الله تعالى المتوفى عام (540 هجري الموافق 1145 رومي).

تدريسه:

كان له رحمه الله تعالى عظيم الأثر والنَّفع في خدمة المجتمع المسلم، فقد بنى مدرسة بدرب دينار وأسس فيها مكتبة كبيرة ووقَف عليها كتبه، وكان يدرِّس رحمه الله تعالى في عدة مدارس ببغداد، وكان لحسن توجهه رحمه الله تعالى في طلب العلم وانتقائه فحولَ علماء عصره الأثرُ الطيب في توجه الطلبة إليه، ينهلون منه ويأخذون عنه، وممن تلقى عنه رحمه الله تعالى:

1. ابنه الإمام العلامة المسند أبو القاسم علي ابن الجوزي رحمه الله تعالى المتوفى عام (630 هجري الموافق 1232 رومي).
2. ابنه الإمام العلامة يوسف ابن الجوزي رحمه الله تعالى المتوفى عام (656 هجري الموافق 1258 رومي).
3. سبطه الإمام الواعظ أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قز أوغلي رحمه الله تعالى المتوفى عام (654 هجري الموافق 1256 رومي).

4. الإمام الحافظ الفقيه أبو عبد الله محمد بن سعيد بن الحجاج المعروف بابن الدُّبَيْثي رحمه الله تعالى المتوفى عام (637 هجري الموافق 1239 رومي).
5. الإمام الحافظ عبد الغني عبد الواحد بن علي بن سرور النابلسي رحمه الله تعالى المتوفى عام (600 هجري الموافق 1203 رومي).
6. الإمام المحدِّث أحمد بن عبد الدائم بن نعمة الكاتب النابلسي رحمه الله تعالى المتوفى عام (668 هجري الموافق 1269 رومي).
7. الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى المتوفى عام (620 هجري الموافق 1223 رومي).

قال الحافظ ابن الدُّبَيْثي: "كان رحمه الله تعالى من أحسن الناس كلامًا، وأتمهم نظامًا، وأعذبهم لسانًا، وأجودهم بيانًا، وبورك في عمره وعمله، فروى الكثير، وسمع الناس منه أكثر من أربعين سنة وحدَّث بمصنفاته مِرارًا" ا.هـ.

مؤلفاته:

كان رحمه الله تعالى كثير التصنيف والتأليف، وله مصنَّفات في أمور كثيرة، قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى: "ما علمت أن أحدًا من العلماء صنَّف ما صنَّف هذا الرجل" ا.هـ، وفي "البداية والنهاية" قال فيه الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: "أحد أفراد العلماء، برز في علوم كثيرة وانفرد بها عن غيره، ومجموع المصنَّفات الكبار والصغار نحوًا من ثلاثمائة مصنَّف، وكتب بيده نحوًا من مائتي مجلد، وله في العلوم كلِّها اليد الطُّولى والمشاركات في جميع أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنجوم والطب والفقه وغير ذلك من اللغة والنحو، وله من المصنَّفات في ذلك كله ما يضيق هذا المكان عن تعدادها وحصر أفرادها" ا.هـ.

وقد أورد الإمام ابن رجب عن القطيعي في (تاريخه) ثَبتَ التصانيف التي كتبها ابن الجوزي بخطه، فذكر فيه حوالي 199 كتابًا، وقد تتبع مؤلفاته وأحصاها السيد عبد الحميد العلوجي العراقي في كتابه (مؤلفات ابن الجوزي)، فجمع أسماء مؤلفاته في شتى الفنون ورتبها على حروف المعجم، مع ذكر ما طبع منها وأماكن وجود المخطوطة منها، وقد وصل عدد تلك الكتب عنده بأسمائها المختلفة إلى (376) كتابًا ما بين مطبوع ومخطوط، وقد طبع من مؤلفات الإمام رحمه الله تعالى أكثر من خمسين كتابًا، نذكر منها:

1. دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه.
2. زاد المسير في علم التفسير.
3. تذكرة الأريب في تفسير الغريب.
4. فنون الأفنان في عيون علوم القرآن.

5. نواسخ القرآن.
6. المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ.
7. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر.
8. الموضوعات من الأحاديث المرفوعات.
9. كشف المشكل من حديث الصحيحين.
10. جامع المسانيد.
11. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية.
12. الضعفاء والمتروكين.
13. الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ.
14. تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر.
15. أخبار النساء.
16. أخبار الأذكياء.
17. أخبار الحمقى والمغفلين.
18. أخبار الظراف والمتماجنين.
19. بستان الواعظين ورياض السامعين.
20. الوفا بتعريف فضائل المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.
21. مناقب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.
22. تاريخ بيت المقدس.
23. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.
24. تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير.
25. مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن.

مواقفه:

كان رحمه الله تعالى لا يخاف في الله لومة لائم، وكان يحضر مجالس وعظه الرؤساء والخلفاء، وقد تكلم يومًا في مجلس الخليفة العباسي المستضيء بالله وحكى له موعظة شيْبانِ الرَّاعي للخليفة هارون الرشيد ثم قال: "يا أمير المؤمنين، إن تكلمتُ خفتُ منك، وإن سكتُّ خفتُ عليك، فأنا أقدِّم خوفي عليك لمحبتي لك على خوفي منك، قول الناصح: اتق الله، خيرٌ من قول القائل: أنتم أهل بيتٍ مغفور لكم".

وكان رحمه الله تعالى مدافعًا عن الحق محاربًا للبدع والمنكرات والتعصب في المذاهب والتقليد الأعمى، قال رحمه الله تعالى: "وظهر أقوام يتكلمون بالبدع ويتعصبون في المذاهب، فأعانني الله سبحانه وتعالى عليهم وكانت كلمتنا هي العليا".

وقد امتُحن رحمه الله تعالى في آخر عمره، وذلك أن الوزير ابن يونس الحنبلي كان في ولايته قد عقد مجلسًا للركن عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلي، وأحرقت كتبه، وكان فيها من الزندقة وعبادة النجوم ورأي الأوائل شيء كثير، وذلك بمحضر من ابن الجوزي وغيره من العلماء، وانتزع الوزير منه مدرسة جده وسلمها لابن الجوزي، فلما ولي الوزارة ابن القصاب - وكان رافضيًّا خبيثًا- سعى في القبض على ابن يونس وتتبع أصحابه، فقال الركن: "أين أنت عن ابن الجوزي، فإنه ناصبيٌّ ومن أولاد أبي بكر، فهو أكبر أصحاب ابن يونس، وأعطاه مدرسة جدي، وأُحرقت كتبي بمشورته"، فكتب ابن القصاب إلى الخليفة الناصر يأمر بتسليم ابن الجوزي للركن عبد السلام، فجاء إلى دار الشيخ وشتمه وأهانه وختم على داره وشتت عياله، ثم أخذه في سفينة إلى واسط فحبسه بها في بيت بقي فيه يغسل ثوبه ويطبخ بيده مدة خمس سنين، وما دخل فيها حمَّامًا.

هذا هو دأب العلماء العاملين والمجاهدين المخلصين، جميل الصبر على البلاء، ورد ظلم وكيد الأعداء، والمضي في طريق الحق من غير كلل أو ملل بل بهمة تسمو إلى العلياء، وقد رسم لنا مولانا العلامة ابن الجوزي رحمه الله تعالى من حياته طريقًا منيرة نلتمسها في كل حال، إن عز النصير أو تكاثر الأعداء.

وفاته:

توفي رحمه الله تعالى بين العشاءين من ليلة الجمعة 12 رمضان 597 هجري ببغداد، وغُسل وقت السَّحر، واجتمع أهل بغداد وحملت جنازته على رؤوس الناس، وكان الجمع كثيرًا جدًّا، وما وصل إلى حفرته إلا وقت صلاة الجمعة والمؤذن يقول: "الله أكبر"، ودفن بباب حرب بالقرب من مدفن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ورضي الله عنه وأرضاه، وكان ينشد حال احتضاره يخاطب ربه:

يَا كَثيرَ العَفوِ عَمَّن ... كَثُرَ الذَّنبُ لَدَيهِ
جَاءكَ المذنبُ يرجُو ... الصَّفحَ عَن جُرمِ يديهِ
أنَا ضَيفٌ وجزاءُ ... الضَّيفِ إحسانٌ إليهِ

رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأدخله فسيح جنانه ونفعنا بعلومه في الدارين آمين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

إعداد:

واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم - فلسطين

8 ذو القعدة 1432 هجري الموافق 6 أكتوبر 2011 رومي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

[هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ](آل عمران: من الآية 7).

الحمد الذي هدانا صراطًا مستقيمًا بالإقرار الخالي عن التشبيه والتعطيل، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي نهى عن عبادة الأصنام والتماثيل.

أما بعد،،،

فهذا كتابٌ لابن الجوزي حجبه عنَّا هذه البرهة - بل عن كثير من المتخصصين في معرفة المؤلفات العربية- فئة من أشياع الذين ردَّ عليهم المصنف، عملت على محو اسمه ورسمه؛ قد حملنا على نشره انتشار كتب المشبهة - مخطوطها ومطبوعها- في الناس، واشتغال بعض المؤلفين بالدعوة إلى التشبيه حتى اليوم، والحرص على نشر تصانيف ابن الجوزي النافعة وكتب الردود المانعة.

وقد علَّق عليه وكيل المشيخة الإسلامية في الدولة العثمانية الأستاذ الشيخ محمد زاهد الكوثري - نزيل القاهرة- أدام الله النفع به.

قال الشيخ الإمام الحافظ العلَّامة أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الصديقي البكري: "اعلم وفقك الله تعالى أنني لَّما تتبعت مذهب الإمام أحمد رحمه الله تعالى رأيته رجلاً كبير القدر في العلوم، قد بالغ رحمة الله عليه في النظر في علوم الفقه ومذهب القدماء، حتى لا تأتي مسألة إلا وله فيها نصٌّ أو تنبيه إلا أنه على طريق السلف، فلم يصنف إلا المنقول، فرأيت مذهبه خاليًا من التصانيف التي كثر جنسها عند الخصوم.

فصنفت تفاسير مطولة منها: (المغني) مجلدات، و(زاد المسير)، و(تذكرة الأريب) وغير ذلك.

وفي الحديث كتبًا منها: (جامع المسانيد)، و(الحدائق)، و(نقيُّ النقل)، وكتبًا كثيرة في الجرح والتعديل، وما رأيت لهم تعليقة في الخلاف إلا أن القاضي (أبا يعلى) قال: "كنت أقول مالِ أهل المذاهب يذكرون الخلاف مع خصومهم ولا يذكرون أحمد[1]؟، ثم عذرتهم إذ ليس لنا تعليقة في الفقه"، قال: "فصنفت لهم تعليقة".

(1) كان الإمام أحمد رضي الله عنه لزم الإمام أبا يوسف في بدء أمره، كما حكى ذلك عنه يحيى بن معين حيث يقول في كتابه- معرفة التاريخ والعلل (رواية أبي العباس الأصم عن أبي الفضل العباس بن محمد الدوري عنه)-: سمعت أحمد بن حنبل يقول: "اختلفت إلى أبي يوسف ثم اختلفت إلى النـــاس بعـــده" اهـــ، وكان يشتغل بكتب محمد بن الحسن ويستفيد منها أجوبة دقيقة على ما رواه الخطيب بإسناده إلى الحربي عنه، وصحب كثيرًا من فقهاء العـــراق، وجالس الشافعي في قدمته الثانية ببغداد بعد وفاة محمد، فصار له من الفقه حظٌ وافر، ومع هذا كله كان الغالب عليه وعلى أصحابه رواية الحـــديث، ولم

قلت: وتعليقته لم يحقق فيها بيان الصحة والطعن في المردود، وذكر فيها أقيسة طردية، ورأيت من يلقي الدرس من أصحابنا يفزع إلى تعليقة الاصطلام أو تعليقة أسعد أو تعليقة العاملي أو تعليقة الشريف ويستعير منها استعارات، فصنفت لهم تعاليق منها: كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف)، ومنها: (جَنة النظر وجُنة الفِطَر)، ومنها: (عمدة الدلائل في مشهور المسائل).

ثم رأيت جمع أحاديث التعليق التي يحتج بها أهل المذاهب وبينت تصحيح الصحيح وطعن المطعون فيه، وعملت كتابًا في المذاهب أدخلتها فيه وسميته: (الباز الأشهب المنقض على مخالفي المذهب)، وصنفت في الفروع: كتاب (المذهَّب في المذهب)، وكتاب (مسبوك الذهب)، وكتاب (البلغة)، وفي أصول الدين كتاب (منهاج الوصول إلى علم الأصول)، وقد بلغت مصنفاتي مائتين وخمسين مصنفًا.

ورأيت من أصحابنا من تكلم في الأصول بما لا يصلح، وانتدب للتصنيف ثلاثة: أبو عبد الله ابن حامد[1]، وصاحبه القاضي أبو يعلى[2]، وابن الزاغوني[3]، فصنفوا كتبًا شانوا بها المذهب، ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام فحملوا الصفات على مقتضى الحس، فسمعوا أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه الصلاة والسلام على صورته فأثبتوا له صورة ووجهًا زائدًا على الذات، وعينين، وفمًا، ولهوات، وأضراسًا، وأضواءً لوجهه هي السُّبُحات، ويدين، وأصابع، وكفًا، وخنصرًا، وإبهامًا، وصدرًا، وفخذًا، وساقين، ورجلين، وقالوا: ما سمعنا بذكر الرأس.

وقالوا: يجوز أن يَمس ويُمس، ويدني العبد من ذاته، وقال بعضهم: ويتنفس، ثم يرضون العوام بقولهم: لا كما يُعقل.

يكن يجري على طريقة الفقهاء في التفريع والتأصيل وتبيين مناط الأحكام والتعليل، حتى قلَّت انفراداته في الفروع عمن تقدمه من الفقهاء، فإن خالف الشافعي مثلاً في شيء من قوله الجديد تراه يوافق فيه أبا حنيفة أو أحد أصحابه أو مالكًا رضي الله عنهم، فكان يستغنى أصحاب كتب الخلاف عن ذكر أقوال أحمد بذكر خلاف من تقدمه من الفقهاء، ولم يذع تدوين أقواله مع أقوال بقية الفقهاء في كتب الخلاف إلا في عهد ابن هبيرة الوزير، فإنه لما ألَّف إفصاحه وخصَّ من بين مجلداته مجلدًا ضخمًا باختلاف الأئمة الأربعة، واعتنى به عناية تامة وسعى في نشره بصرف مبالغ طائلة، أخذ من يكتب في الخلاف يذكر أقوال أحمد مع أقوال غيره من الأئمة، وكان ابن جرير أدركه سنًا وأدرك أصحابه لقاء ومع ذلك لم يذكر أقواله فيما كتبه في اختلاف الفقهاء مع ذكره من هو على شاكلة أبي بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم، فسأله الحنابلة عن ذلك فقال ما معناه: لم يكن أحمد من الفقهاء، وإنما كان من أهل الحديث، وما كنت لقيته حتى آخذ منه ولا لقيت أصحابًا له يحق أن يؤخذ منهم، فثارت ثائرة الحنابلة عليه وجرى ما ينقله ياقوت في (معجم الأدباء) وابن الأثير في كاملة. (ز)

(1) هو شيخ الحنابلة أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي البغدادي الوراق المتوفى سنة ثلاث وأربعمائة، كان من أكبر مصنفيهم، له شرح أصول الدين، فيه طامات سيورد المصنف بعضها، ولديه تخرَّج القاضي أبو يعلى الحنبلي. (ز)

(2) هو القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء الحنبلي المتوفى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، وفيه يقول أبو محمد التميمي ما معناه: "لقد شان أبو يعلى الحنابلة شينًا لا يغسله ماء البحار"، على ما نقله ابن الأثير وأبو الفداء، وعزا في طبقاته إلى الإمام أحمد ما يبعد أن يصح عنه كل البعد، ونقل ابن بدران الدشتي في جزء إثبات الحد عن كتاب الأصول لأبي يعلى هذا ما هو أفظع مما سينقله المصنف عنه في التشبيه، على تضاربٍ في أقواله بين تنزيه وتشبيه، ولا يخفى على الناظر أنه غير الحافظ أبي يعلى أحمد بن علي الموصلي صاحب المسند وراوي كتب أبي يوسف عن بشر بن الوليد (ز).

(3) هو أبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر الزاغوني الحنبلي المتوفى سنة سبع وعشرين وخمسمائة، وهو من مشايخ المصنف، وله في كتاب (الإيضاح) من غرائب التشبيه ما يحار فيه النبيه. (ز)

وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات، فسموها بالصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل، و لم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى، ولا إلى إلغاء ما يوجبه الظاهر من سمات الحدوث، و لم يقنعوا بأن يقولوا: صفة فعل، حتى قالوا: صفة ذات، ثم لما أثبوا أنها صفات ذاتٍ قالوا: لا نحملها على توجيه اللغة مثل يدٍ على نعمةٍ وقدرة، ومجيءٍ وإتيانٍ على معنى برٍّ ولطف، وساقٍ على شدة، بل قالوا: نحملها على ظواهرها المتعارفة، والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين، والشيء إنما يحمل على حقيقته إذا أمكن فإن صرف صارف حمل على المجاز، ثم يتحرجون من التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم ويقولون: نحن أهل السنة، وكلامهم صريحٌ في التشبيه، وقد تبعهم خلقٌ من العوام.

فقد نصحت التابع والمتبوع فقلت لهم: يا أصحابنا، أنتم أصحاب نقل، وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول وهو تحت السياط: "كيف أقول ما لم يُقل"[1].

فإياكم أن تبتدعوا في مذهبه ما ليس منه؛ ثم قلتم في الأحاديث: تحمل على ظاهرها، وظاهر القدم الجارحة، فإنه لـــمَّا قيل في عيسى عليه الصلاة والسلام (روح الله) اعتقدت النصارى لعنهم الله تعالى أن لله سبحانه وتعالى صفة هي روح ولجت في مريم عليها السلام، ومن قال: استوى بذاته فقد أجراه سبحانه وتعالى مجرى الحسيات، وينبغي أن لا يهمل ما يثبت به الأصل وهو العقل، فإنا به عرفنا الله تعالى وحكمنا له بالقدم، فلو أنكم قلتم: نقرأ الأحاديث ونسكت ما أنكر عليكم أحد، إنما حملكم إياها على الظاهر قبيح[2]، فلا تُدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي ما ليس منه، ولقد كسيتم هذا المذهب شينًا قبيحًا حتى صار لا يقال حنبليٌّ إلا مجسم، ثم زينتم مذهبكم أيضًا بالعصبية ليزيد بن معاوية ولقد علمتم أن صاحب المذهب أجاز لعنته، وقد كان أبو محمد التميمي يقول في بعض أئمتكم[3]: "لقد شان المذهبَ شينًا قبيحًا لا يغسل إلى يوم القيامة".

---

(1) ولما سئل الإمام أحمد عن أحاديث النزول والرؤية ووضع القدم ونحوها قال: "نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى"، وقال أيضًا يـــوم ســـألوه عـــن الاستواء: "استوى على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حدٍّ ولا صفةٍ يبلغها واصف" على ما ذكره الخلال في السنة بسنده إلى حنبل عن عمـــه الإمـــام أحمد، وهذا تفويضٌ وتنزيهٌ كما هو مذهب السلف، وربما أوَّل في بعض المواضع كما حكى حنبل أيضًا عن الإمام أحمد أنه سمعه يقول: "احتجوا عليَّ يوم المناظرة فقالوا: تجيء يوم القيامة سورة البقرة وتجئ سورة تبارك، قال: فقلت لهم: إنما هو الثواب، قال الله جل ذكره: [وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا] (الفجر:22) وإنما تأتي قدرته"، وقال ابن حزم الظاهري في فصله: "وقد روينا عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال: [وَجَاءَ رَبُّكَ] إنما معناه: وجاء أمر ربك" ا.هـــ، وهذا تأويلٌ وتنزيهٌ كما هو مذهب الخلف، وأما ما ينقل عن الإمام أحمد مما يخالف ما تقدم فهو تخرص صديق جاهل وسوء فهمٍ لمذهب هذا الإمام. (ز)

(2) يقول الأستاذ الشيخ محمد عبده رحمه الله فيما كتبه على العضدية عند الكلام على حديث افتراق الأمة: "فإن قلت: إن كلام الله وكلام سيدنا ومولانـــا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مؤلف من الألفاظ العربية ومدلولاتها معلومة لدى أهل اللغة فيجب الأخذ بمدلول اللفظ كائنًا ما كان، قلت: حينئـــذ لم يكن ناجيًا إلا طائفة المجسمة الظاهريون القائلون بوجوب الأخذ بجميع النصوص وترك طريق الاستدلال رأسًا، مع أنه لا يخفى ما في آراء هذه الطائفـــة من الاختلال، مع سلوكهم طريقًا ليس يفيد اليقين بوجه، فإن للتخاطبات مناسبات ترد بمطابقتها، فلا سبيل إلا إلى الاستدلال وتأويل ما يبدي بظـــاهره نقصًا إلى ما يفيد الكمال، وإذا صحَّ التأويل للبرهان في شيء صحَّ في بقية الأشياء حيث لا فرق بين برهان وبرهان ولا لفظ ولفظ. (ز)

(3) وهو القاضي أبو يعلى المتقدم. (ز)

فصلٌ

قلت: وقد وقع غلط المصنفين الذين ذكرهم في سبعة أوجه:

أحدها: أنهم سموا الأخبار أخبار صفات وإنما هي إضافات، وليس كل مضاف صفة، فإنه قال سبحانه وتعالى: **[** وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي **]**(الحجر: من الآية 29).

وليس لله صفةٌ تسمى روحًا، فقد ابتدع من سمى المضاف صفة.

الثاني: أنهم قالوا: إن هذه الأحاديث من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، ثم قالوا: نحملها على ظواهرها، فواعجبًا**!!** ما لا يعمله إلا الله تعالى أي ظاهرٍ له؟**!**، وهل ظاهر الاستواء إلا القعود، وظاهر النزول إلا الانتقال**!**.

الثالث: أنهم أثبتوا لله سبحانه وتعالى صفات، وصفات الحق جلَّ جلاله لا تثبت إلا بما تثبت به الذات من الأدلة القطعية.

وقال ابن حامد (المجسم): "من ردَّ ما يتعلق به بالأخبار الثابتة فهل يكفر؟، على وجهين"، وقال: "غالب أصحابنا على تكفير من خالف الأخبار في الساق والقدم والأصابع والكف ونظائر ذلك وإن كانت أخبار آحادٍ؛ لأنها عندنا توجب العلم".

قلت: هذا قول من لا يفهم الفقه ولا العقل.

الرابع: أنهم لم يفرقوا في الأحاديث بين خبر مشهور كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: **p** ينزل إلى السماء الدنيا **i** ، وبين حديث لا يصح كقوله: "رأيت ربي في أحسن صورة"، بل أثبتوا بهذا صفة وبهذا صفة.

الخامس: أنهم لم يفرقوا بين حديث مرفوع إلى سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين حديث موقوف على صحابي أو تابعي، فأثبتوا بهذا ما أثبتوا بهذا.

السادس: أنهم تأولوا بعض الألفاظ في موضع ولم يتأولوها في موضع آخر كقوله: **p** من أتاني يمشي أتيته هرولة **i** ، قالوا: هذا ضرب مثلاً للإنعام.

وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: "إذا كان يوم القيامة جاء الله يمشي"، فقالوا: نحمله على ظاهره.

قلت: فواعجبًا**!!** ممن تأول حديث سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يتأول كلام عمر بن عبد العزيز.

السابع: أنهم حملوا الأحاديث على مقتضى الحسِّ، فقالوا: ينزل بذاته وينتقل ويتحرك، ثم قالوا: لا كما يعقل، فغالطوا من يسمع فكابروا الحسَّ والعقل فحملوا الأحاديث على الحسيات.

فرأيت الردَّ عليهم لازمًا لئلا ينسب الإمام أحمد رحمه الله إلى ذلك، وإذا سكَتُّ نُسِبتُ إلى اعتقاد ذلك، ولا يهولني أمر عظيم في النفوس؛ لأن العمل على الدليل وخصوصًا في معرفة الحق تعالى لا يجوز فيها التقليد.

فصلٌ

فإن قال قائل: ما الذي دعا سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يتكلم بألفاظٍ موهمة للتشبيه؟.

قلنا: إن الخلق غلب عليهم الحسُّ فلا يكادون يعرفون غيره، وسببه المجانسة لهم في الحديث، فعبد قومٌ النجوم وأضافوا إليها المنافع والمضار، وعبد قومٌ النور وأضافوا إليه الخير، وأضافوا الشرَّ إلى الظلمة، وعبد قومٌ الملائكة، وقومٌ الشمس، وقومٌ عيسى، وقومٌ عُزَير، وعبد قومٌ البقر والأكثرون أصنام، فأنست نفوسهم بالحسِّ المقطوع بوجوده، ولذلك قال قوم سيدنا موسى عليه السلام: **[** اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا **]**(الأعراف: من الآية 138)، فلو جاءت الشرائع بالتنزيه المحض جاءت بما يطابق النفي، فلما قالوا: صف لنا ربك، نزلت: **[** قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ **]**، ولو قال لهم ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا طويل ولا عريض ولا يشغل الأمكنة ولا يحويه مكان ولا جهة من الجهات الست وليس بمتحرك ولا ساكن ولا يدركه الإحساس لقالوا: حُدَّ لنا النفي بأن تميز ما تدعونا إلى عبادته عن النفي وإلا فأنت تدعو إلى عدم.

فلما علم الحقُّ سبحانه ذلك جاءهم بأسماءٍ يعقلونها من السمع والبصر والحلم والغضب، وبنى البيت وجعل الحجر بمثابة اليمين المُصَافِحَة، وجاء بذكر الوجه واليدين والقدم والاستواء والنزول؛ لأن المقصود الإثبات فهو أهم عند الشرع من التنزيه وإن كان التنزيه منها، ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم للجارية: **p** أين الله **i** ، وقيل له: أيضحك ربنا؟، قال صلى الله عليه وآله وسلم: **p** نعم **i** ، فلما أثبت وجوده بذكر صور الحسيات نفى خيال التشبيه بقوله: **[** لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ **]**(الشورى: من الآية 11)، ثم لم يذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الأحاديث جملة وإنما كان يذكر الكلمة في الأحيان، فقد غلط من ألفها أبوابًا على ترتيب سورة غلطًا قبيحًا، ثم هي بمجموعها يسيرة، والصحيح منها يسير، ثم هو صلى الله عليه وآله وسلم عربيٌّ وله التجوز، أليس هو صلى الله عليه وآله وسلم القائل: **p** تأتي البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان أو فِرْقان من طير صافٍّ **i** ، و **p** يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيذبح **i** ؟!.

فإن قيل: لم سكت السلف عن تفسير الأحاديث وقالوا: أمِرُّوها كما جاءت؟.

قلت: لثلاثة أوجه:

أحدها: أنها ذكرت للإيناس بموجود، فإذا فسرت لم يحصل الإيناس مع أن فيها ما لا بد من تأويله مثل قوله تعالى: **[** وَجَاءَ رَبُّكَ **]**(الفجر: من الآية 22)، أي جاء أمره.

وقال أحمد بن حنبل: "وإنما صرفه إلى ذلك أدلة العقل، فإنه لا يجوز عليه الانتقال".

والوجه الثاني: أنه لو تأوَّلْتَ اليد بمعنى القدرة جاز أن يتأولَ بمعنى القوة فيحصل الخطر بالصرف عما يحتمل.

والثالث: أنهم لو أطلقوا في التأويل اتسع الخرق فخلَّط المتأول، فإذا سأل العاميُّ عن قوله تعالى: **[** ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ **]** قيل له: الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإنما فعلنا هذا؛ لأن العوام لا يدركون الغوامض.

فصلٌ

وكان الإمام أحمد يقول: "أمرُّوا الأحاديث كما جاءت"، وعلى هذا كبار أصحابه كإبراهيم الحربي، ومن كبار أصحابنا أبو الحسن التميمي، وأبو محمد رزق الله ابن عبد الوهاب، وأبو الوفاء ابن عقيل، فنبغ الثلاثة الذين ذكرناهم: ابن حامد، والقاضي أبو يعلى، والزاغوني.

وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله عن مسألة فأفتى فيها فقيل له: هذا لا يقول به ابن المبارك، فقال: "ابن المبارك لم ينزل من السماء"، وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: "استخرت الله تعالى في الردِّ على الإمام مالك".

ولما صنف هؤلاء الثلاث كتبًا، وانفرد القاضي أبو يعلى فصنف الأحاديث التي ذكرها على ترتيبه، وقدَّم عليها الآيات التي وردت في ذلك، رأيت أن أردَّ كلامه في تلك الأحاديث والآثار مقدِّمًا الآيات الشريفة التي وردت في ذلك.

باب: ما جاء في القرآن العظيم من ذلك

1. **قال الله تعالى:** **[** وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ **]**(الرحمن:27)[1]، قال المفسرون: معناه: يبقى ربك، وكذا قالوا في قوله تعالى: **[** يُرِيدُونَ وَجْهَهُ **]**(الأنعام: من الآية 52)، أي يريدونه، وقال الضحاك وأبو عبيدة في قوله: **[** كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ **]**(القصص: من الآية 88)، أي إلا هو.

وقد ذهب الذين أنكرنا عليهم إلى أن الوجه صفة تختص باسم زائد على الذات.

قلت: فمن أين قالوا هذا وليس لهم دليل إلا ما عرفوه من الحسيات؟، وذلك يوجب التبعيض، ولو كان كما قالوا كان المعنى: أن ذاته تهلك إلا وجهه، وقال ابن حامد (المجسم): "أثبتنا لله تعالى وجهًا ولا نجوِّز إثبات رأس".

قلت: ولقد اقشعر بدني من جراءته على ذكر هذا، فما أعوزه في التشبيه غير الرأس.

2. **قلت: ومن ذلك قوله:** **[** وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي **]**(طـه: من الآية 39)، و **[** وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا **]**(هود: من الآية 37)[1].

(1) قال الزمخشري في (الكشاف): **[** وَجْهُ رَبِّكَ **]** ذاته، والوجه يعبر به عن الجملة والذات، ومساكين مكة يقولون: أين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان.

قال المفسرون: بأمرنا، أي بمرأى منَّا، قال أبو بكر بن الأنباري: "أما جمع العين على مذهب العرب في إيقاعها الجمع على الواحد، يقال: خرجنا في السفر إلى البصرة، وإنما جمع لأن عادة الملك أن يقول: أمرنا ونهينا".

وقد ذهب القاضي أبو يعلى (المجسم) إلى أن العين صفة زائدة على الذات، وقد سبقه أبو بكر بن خزيمة[2] فقال في الآية: "لربنا عينان ينظر بهما"!!.

قلت: وهذا ابتداع لا دليل لهم عليه، وإنما أثبتوا عينين من دليل الخطاب في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: **p** وإن الله ليس بأعور **i** [3]، وإنما أراد نفي النقص عنه تعالى، ومتى ثبت أنه لا يتجزأ لم يكن لما يُتَخَيَّل من الصفات وجه.

3. **ومنها قوله تعالى:** [لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ](صّ: من الآية 75)[4]، اليد في اللغة بمعنى: النعمة والإحسان، قال الشاعر:

متى تناخي عند باب بني هاشم تريحي فتلقي من فواضله يدا

ومعنى قول اليهود: [يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ](المائدة: من الآية 64) أي محبوسة عن النفقة؛ واليد: القوة، يقولون: ما لنا بهذا الأمر من يد، وقوله تعالى: [بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ](المائدة: من الآية 64)، أي نعمته وقدرته[5].

وقوله: [لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ](صّ: من الآية 75)، أي بقدرتي ونعمتي، وقال الحسن: [يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ] (الفتح:10)، أي منته وإحسانه، هذا كلام المحققين.

وقال القاضي أبو يعلى (المجسم): "اليدان صفتان ذاتيتان تسميان باليدين" ا.هـ.

---

(1) يقول الزمخشري: [بِأَعْيُنِنَا] في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظًا، وحقيقته ملتبسًا بأعيننا كأن لله معه أعينًا تكلؤه أن يزيغ في صنعته عن الصواب، وأن لا يحول بينه وبين عمله أحد من أعدائه ا.هـ، ويقول الرازي في (أساس التقديس) عند الكلام على العين: "لا بد من المصير إلى التأويل، وذلك هو أن يحمل هذه الألفاظ على شدة العناية والحراسة، والوجه في حسن هذا المجاز أن من عظمت عنايته بشيء وميله إليه ورغبته فيه كان كثير النظر إليه، فجعل لفظ العين التي هي آلة لذلك النظر كناية عن شدة العناية".

(2) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري توفي عام أحد عشر وثلاثمائة، يعد في أكابر المحدثين، كان يورع نفسه عن الخوض في مسائل الكلام وينهي أصحابه عنه، ثم اضطره بعض أهل النظر إلى الدخول في هذه المآزم فزلت قدمه وخرج إلى وجوه غير معقولة سامحه الله. (ز)

(3) طالع الحديث الخمسين الآتي ترى مزيد تفصيل عن هذا الخبر.

(4) يقول الزمخشري: "أن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه، فغلب العمل باليدين على سائر الأعمال التي تباشر بغيرهما، حتى قيل في عمل القلب: هو مما عملت يداك، وحتى قيل لمن لا يدين له: يداك أوكتا وفوك نفخ، وحتى لم يبق فرق بين قولك: هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك" ا.هـ، وقال الراغب الأصبهاني في مفرداته: "قوله تعالى: [مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا] وقوله: [لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ] عبارة عن توليه لخلقه باختراعه الذي ليس إلا له عزَّ وجلَّ، وخصَّ لفظ اليد ليتصور لنا المعنى إذ هو أجل الجوارح التي يتولى بها الفعل فيما بيننا ليتصور لنا اختصاص المعنى لا لنتصور منه تشبيه، وقيل معناه: بنعمتي التي رشحتها لهم، والباء فيه ليس كالباء في قولهم: قطعته بالسكين بل هو كقولهم: خرج بسيفه أي معه سيفه، معناه: خلقته ومعه نعمتاي الدنيوية والأخروية اللتان إذا رعاهما بلغ بهما السعادة الكبرى"، وقال العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي في تفسيره (محاسن التأويل): "[لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ] أي بنفسي من غير توسطٍ كأب وأم".

(5) في (أساس التقديس) لمجدد القرن السادس الفخر الرازي: "والسبب في حسن هذا المجاز أن كمال حال هذا العضو إنما يظهر بالصفة المسماة بالقدرة، فلما كان المقصود من اليد حصول القدرة أُطلق اسم القدرة على اليد؛ ولأن آلة إعطاء النعمة اليد، فإطلاق اسم اليد على النعمة إطلاق لاسم السبب على المسبب".

قلت: وهذا تصرف بالرأي لا دليل عليه، وقال ابن عقيل: معنى الآية: "لما خلقت أنا"، فهو كقوله: **[** ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ **]**(الحج: من الآية 10)، أي بما قدمت أنت.

وقد قال بعض البُلَّه: لو لم يكن لآدم عليه الصلاة والسلام مزية على سائر الحيوانات بخلقه باليد التي هي صفة لَما عظمه بذكرها وأجله فقال: **[** بِيَدَيَّ **]**، ولو كانت القدرة لما كانت له مزية، فإن قالوا: القدرة لا تثنى وقد قال: **[** بِيَدَيَّ **]**، **قلنا:** بلى قالت العرب: ليس لي بهذا الأمر يدان، أي ليس لي به قدرة، قال عروة ابن حزام في شعره:

فقـــالا شـــفاك الله والله مـــا لنـــا بما ضـــمنت منـــك الضـــلوع يـــدان

وقولهم: ميزه بذلك عن الحيوان، نفاه قوله عزَّ وجلَّ: **[** خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا **]**(يس: من الآية 71)، ولم يدل هذا على تمييز الأنعام على بقية الحيوان.

قال تعالى: **[** وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ **]**(الذاريات: 47)، أي بقوة، ثم قد أخبر أنه نفخ فيه من روحه، ولم يرد إلا الوضع بالفعل والتكوين، والمعنى: نفخت أنا، ويكفي شرف الإضافة إذ لا يليق بالخالق جلَّ جلاله سوى ذلك؛ لأنه لا يحتاج أن يفعل بواسطة، ولا له أعضاء وجوارح يفعل بها؛ لأنه تعالى الغني بذاته؛ فلا ينبغي أن يُتشاغل بطلب تعظيم آدم عليه الصلاة والسلام مع الغفلة عما يستحقه الباري سبحانه من التعظيم والتنزيه بنفي الأبعاض والآلات في الأفعال؛ لأن هذه الأشياء صفة الأجسام.

وقد ظنَّ بعض البُلَّه أن الله يمسُّ حتى توهموا أنه مسَّ طينة آدم بيدٍ هي بعض ذاته، وما فطنوا أنه من جملة مخلوقاته جسمًا يقابل جسمًا فيتحد به ويفعل فيه، ومن السحر من يعقد عقدًا فيتغير به الشيء حالاً وصفة!!، أفتراه سبحانه وتعالى جعل أفعال الأشخاص والأجسام تتعدى إلى الأجسام البعيدة ثم يحتاج هو في أفعاله إلى معاناة الطين؟، وقد رُدَّ قول من قال هذا بقوله تعالى: **[** إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ **]**(آل عمران: 59).

4. ومنها قوله تعالى: [وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ **]**(آل عمران: من الآية 28)، وقوله تعالى على لسان عيسى عليه الصلاة والسلام: **[** تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ **]**(المائدة: من الآية 116)، قال المفسرون: ويحذركم الله إياه، وقالوا: تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك.

قال المحققون: المراد بالنفس ها هنا الذات، ونفس الشيء ذاته، وقد ذهب القاضي أبو يعلى (المجسم) إلى أن لله تعالى نفسًا وهي صفة زائدة على ذاته.

قلت: وقوله هذا لا يستند إلا إلى التشبيه؛ لأنه يوجب أن الذات شيء والنفس غيرها، وحكى ابن حامد (المجسم) أعظم من هذا فقال: "ذهبت طائفة في قوله تعالى: **[** وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي **]**(الحجر: من الآية29)، إن تلك الروح صفة من ذاته وأنها إذا خرجت رجعت إلى الله تعالى".

قلت: وهذا أقبح من كلام النصارى فما أبقى هذا من التشبيه بقية.

5. **ومنها قوله تعالى: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ]**(الشورى: من الآية 11)[1]، ظاهر الكلام أن له مِثلاً فليس كمثله شيء وليس كذلك، إنما معناه عند أهل اللغة أن يقام المثل مقام الشيء نفسه، يقول الرجل: مثلي لا يكلم مثلك، وإنما المعنى ليس كهو شيء.

6. **ومنها قوله تعالى: [يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ]**(القلم: من الآية 42)[2]، قال ابن عباس ومجاهد وإبراهيم النخعي وقتادة وجمهور العلماء: "يكشف عن شدة"، وأنشدوا: وقامت الحرب بنا على ساق[3]، وقال آخرون: إذا شَمَّرت عن ساقها الحرب شَمِّرا، قال ابن قتيبة: "وأصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى معاناة الجِدِّ فيه شَمَّر عن ساقه فاستعيرت الساق في موضع الشدة"، وبهذا قال الفراء وأبو عبيد وثعلب واللغويون.

وروى البخاري ومسلم في الصحيحين عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **p** إن الله عزَّ وجلَّ يكشف عن ساقه **i** [4].

هذه إضافة إليه معناها: يكشف عن شدته وأفعاله المضافة إليه، ومعنى يكشف عنها: يزيلها.

وقال عاصم بن كليب: رأيت سعيد بن جبير غضب وقال: "يقولون يكشف عن ساقه، وإنما ذلك عن أمر شديد"، وقد ذكر أبو عمر الزاهد: "أن الساق بمعنى النفس"، وقال: "ومنه قول علي عليه السلام لما قالت البغاة لا حكم إلا

---

(1) يقول الزمخشري في (الكشاف): "قالوا مثلك لا يبخل، فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته، قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية؛ لأنهم إذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه، ونظيره: قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم كان أبلغ من قولك: أنت لا تخفر، ومنه قولهم: قد أيفعت لداته وبلغت أترابه يريدون إيفاعه وبلوغه" ا.هـ.

وقال الراغب: "أن الندَّ يقال فيما يشارك في الجوهر فقط، والشبه يقال فيما يشارك في الكيفية فقط، والمساوي يقال فيما يشارك في الكمية فقط، والشكل يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة فقط، والمثل عام في جميع ذلك، ولهذا لما أراد الله نفي التشبيه من كل وجه خصه بالذكر فقال: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ]، وأما الجمع بين الكاف والمثل فقد قيل ذلك لتأكيد النفي تنبيهًا على أنه لا يصح استعمال المثل ولا الكاف، فنفى بليس الأمرين جميعًا، وقيل المثل ها هنا بمعنى الصفة ومعناه: ليس كصفته صفة تنبيهًا على أنه وإن وصف بكثير مما يوصف به البشر فليس تلك الصفات له على حسب ما يستعمل في البشر".

(2) ومما قاله الرازي في تفسير هذه الآية: "يوم يكشف عن ساق جهنم أو عن ساق العرش أو عن ساق ملك مهيب عظيم، واللفظ لا يدل إلا على ساق، فأما إن ذلك الساق ساق أي شيء هو، فليس في اللفظ ما يدل عليه".

وفي (محاسن التأويل) للعلامة الجمال القاسمي رحمه الله: "وقال أبو سعيد الضرير: أي يوم يكشف عن أصل الأمر، وساق الشيء أصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الإنسان، أي تظهر يوم القيامة حقائق الأشياء وأصولها، فالساق بمعنى أصل الأمر وحقيقته استعارة من ساق الشجر".

(3) قال البيهقي في كتابه (الأسماء والصفات) عند الاستشهاد بهذا الكلام من الشعر: "عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله تعالى: [يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ] فقال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه من الشعر، فإنه ديوان العرب".

(4) في صحيح البخاري: ثنا آدم ثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **p** يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة **i** الحديث، وقال الحافظ ابن حجر: "ووقع في هذا الموضع: **p** يكشف ربنا عن ساقه **i** ، وهو من رواية سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم فأخرجها الإسماعيلي كذلك ثم قال: في قوله: **p** عن ساقه **i** نكرة، ثم أخرجه من طريق حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم بلفظ: **p** يكشف عن ساق **i** قال الإسماعيلي: هذه أصحُّ لموافقتها لفظ القرآن في الجملة" ا.هـ.

وقد أخذ ابن شاقلاً على البخاري إخراجه حديث الساق في صحيحه لأنه من رواية ابن أبي هلال ويراه ليس من شرطه لضعفه، وقال ابن حزم أيضًا: "ابن أبي هلال ليس بالقوي، قد ذكره بالتخليط يحيى وأحمد بن حنبل". (ز)

لله تعالى فقال: لا بد من محاربتهم ولو تلفت ساقي ..."، فعلى هذا يكون المعنى يتجلى لهم، وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **p** يكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله عزَّ وجلَّ فيخرون لله سجدًا، ويبقى أقوام في ظهورهم مثل صياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون **i** ، فذلك قوله تعالى: **[** يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ **]**(القلم:42).

وقد ذهب القاضي أبو يعلى (المجسم) إلى أن الساق صفة ذاتية، وقال مثله في "يضع قدمه في النار"، وحكى عن ابن مسعود رضي الله عنه: "ويكشف عن ساقه اليمنى فتضيء من نور ساقه الأرض".

قلت: وذكر الساق مع القدم تشبيه محض، وما ذُكر عن ابن مسعود رضي الله عنه محال، ولا تثبت لله تعالى صفة بمثل هذه الخرافات، ولا توصف ذاته بنور شعاعي تضيء به الأرض، واحتجاجه بالإضافة ليس بشيء؛ لأنه إذا كشف عن شدته فقد كشف عن ساقه، وهؤلاء وقع لهم أن معنى **p** يكشف **i** : يظهر، وإنما المعنى: يزيل ويرفع.

قال ابن حامد (المجسم): "يجب الإيمان بأن لله سبحانه وتعالى ساقًا صفة لذاته، فمن جحد ذلك كفر"، **قلت:** ولو تكلم بهذا عامي جلف كان قبيحًا، فكيف بمن ينسب إلى العلم؟!، فإن المتأولين أعذر منهم؛ لأنهم ردوا الأمر إلى اللغة، وهؤلاء أثبتوا ساقًا للذات وقدمًا حتى يتحقق التجسيم والصورة.

7. **ومنها قوله تعالى:** **[** ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ **]**(الأعراف: من الآية 54)[1]، قال الخليل بن أحمد: العرش السرير، فكل سرير ملك يسمى عرشًا، والعرش مشهور عند العرب في الجاهلية والإسلام، قال تعالى: **[** وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ **]** (يوسف: من الآية 100)، وقال تعالى: **[** أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا **]**(النمل: من الآية 38)، واعلم أن الاستواء في اللغة على وجوه منها: الاعتدال، قال بعض بني تميم: "فاستوى ظالم العشيرة والمظلوم" أي اعتدلا، والاستواء: تمام الشيء، قال الله تعالى:

---

(1) يقول الآلوسي في (تفسيره): "والناس في الكلام على هذه الآية ونحوها مختلفون، فمنهم من فسر العرش بالمعنى المشهور، وفسر الاستواء بالاستقرار وروي ذلك عن الكلبي ومقاتل ورواه البيهقي في (الأسماء والصفات) بروايات كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كلها، وما روي عن مالك رضي الله عنه أنه سئل كيف استوى فأطرق رأسه مليًا حتى علته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال: "الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ثم قال للسائل: وما أظنك إلا ضالاً ثم أمر به فأخرج" ليس نصًا في هذا المذهب لاحتمال أن يكون المراد من قوله: "غير مجهول" أنه ثابت معلوم الثبوت لا أن معناه الاستقرار وهو غير مجهول". وقال في موضع آخر: "وإلى نحو هذا ذهب الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقال في بعض فتاويه: "طريقة التأويل بشرطه وهو قرب التأويل أقرب إلى الحق لأن الله تعالى إنما خاطب العرب بما يعرفونه، وقد نصب الأدلة على مراده من آيات كتابه لأنه سبحانه قال: **[** ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ **]**(القيامة: 19)، **[** لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ **]**(النحل: من الآية 44)، وهذا عام في جميع آيات القرآن، فمن وقف على الدليل أفهمه الله مراده من كتابه وهو أكمل ممن لم يقف على ذلك، إذ لا يستوي الذين يعلمون واللذين لا يعلمون" ا.هـ، وفيه توسط في المسألة، وقد توسط ابن الهمام في (المسايرة) - وقد بلغ رتبة الاجتهاد كما قال ابن عابدين الشامي في (رد المحتار)- توسطًا أخص من هذا التوسط فذكر ما حصاله: وجوب الإيمان بأنه تعالى استوى على العرش مع نفي التشبيه، وأما كون المراد استولى فأمر جائز الإرادة لا واجبها إذ لا دليل عليه، وإذا خيف على العامة عدم فهم الاستواء إذا لم يكن بمعنى الاستيلاء إلا بالاتصال ونحوه من لوازم الجسمية فلا بأس بصرف فهمهم إلى الاستيلاء فإنه قد ثبت إطلاقه عليه لغة في قوله:

فلما علونا واستوينا عليهم جعلناهم مرعى لنسر وطائر

وقوله:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

[وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى](القصص: من الآية 14) أي تمَّ، والاستواء: القصد إلى الشيء، قال الله تعالى: [ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ](فصلت: من الآية 11) أي قصد خلقها، والاستواء: الاستيلاء على الشيء، قال الشاعر

قَدِ اسْتَوى بِشْرٌ عَلَى العِرَاقِ مِنْ غيرِ سيفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقِ

وقال الآخر:

إِذَا مَا غَزَا قَومًا أَبَاحَ حَرِيمَهُمْ وَأَضْحَى عَلَى مَا مَلَكُوهُ قَدِ اسْتَوى

وروى إسماعيل بن أبي خالد الطائي قال: العرش ياقوتة حمراء.

قلت: وجميع السلف على إمرار هذه الآية كما جاءت من غير تفسير ولا تأويل.

قال عبد الله بن وهب: "كنَّا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله [الرَّحمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى]، كيف استوى؟، فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال: الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال له كيفٌ، وكيفٌ عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة فأخرجوه، فأُخرج".

وقد حمل قوم من المتأخرين هذه الصفة على مقتضى الحس فقالوا: استوى على العرش بذاته، وهي زيادة لم تنقل، إنما فهموها من إحساسهم، وهو أن المستوي على الشيء إنما تستوي عليه ذاته، قال ابن حامد (المجسم): "الاستواء مماسته وصفة لذاته، والمراد به القعود"[1]، قال: "وقد ذهبت طائفة من أصحابنا إلى أن الله سبحانه وتعالى على عرشه قد ملأه، وأنه يَقعد، ويُقعد نبيه صلى الله عليه وآله وسلم معه على العرش يوم القيامة"، وقال: "والنزول هو انتقال".

قلت: وعلى ما حكى تكون ذاته أصغر من العرش، فالعجب من قول هذا، ما نحن مجسمة؟؟!!.

وقيل لابن الزاغوني (المجسم): هل تجددت له صفة لم تكن له بعد خلق العرش؟، قال: "لا، إنما خلق العالم بصفة التحت فصار العالم بالإضافة إليه أسفل، فإذا ثبتت لإحدى الذاتين صفة التحت يثبت للأخرى استحقاق صفة الفوق"، قال: "وقد ثبت أن الأماكن ليست في ذاته ولا ذاته فيها، فثبت انفصاله عنها، ولا بد من شيء يحصل به الفصل، فلما قال: [ثُمَّ اسْتَوَى] علمنا اختصاصه بتلك الجهة"، قال: "ولا بد أن تكون لذاته نهاية وغاية يعلمها".

قلت: وهذا رجل لا يدري ما يقول؛ لأنه إذا قدر غاية وفصلاً بين الخالق والمخلوق فقد حدده وأقر بأنه جسم، وهو يقول في كتابه: "إنه ليس بجوهر؛ لأن الجوهر ما تحيز"، ثم يثبت له مكانًا يتحيز فيه، **قلت:** وهذا كلام جهل من قائله وتشبيهٌ محض، فما عرف هذا الشيخ ما يجب للخالق وما يستحيل عليه، فإن وجوده تعالى ليس كوجود الجواهر والأجسام

(1) قال الجلال الدواني في (شرح العضدية): "وقد رأيت في بعض تصانيف (ابن تيمية) القول به - أي بالقدم النوعي- في العرش" ا.هـ، وقال الشيخ محمد عبده فيما علقه عليه: "وذلك أن ابن تيمية كان من الحنابلة الآخذين بظواهر الآيات والأحاديث، القائلين بأن الله استوى على العرش جلوسًا، فلما أورد عليه أنه يلزم أن يكون العرش أزليًا لما أن الله أزلي فمكانه أزلي، وأزلية العرش خلاف مذهبه، قال إنه قديم بالنوع أي أن الله لا يزال يعدم عرشًا ويحدث آخر من الأزل إلى الأبد حتى يكون له الاستواء أزلاً وأبدًا، ولننظر أين يكون الله بين الإعدام والإيجاد، هل يزول عن الاستواء فليقل به أزلاً، فسبحان الله ما أجهل الإنسان وما أشنع ما يرضى لنفسه، ولست أعرف هل قال ابن تيمية بشيء من ذلك على التحقيق، وكثيرًا ما نُقل عنه ما لم يقله" ا.هـ. (ز)

التي لا بد لها من حيز، والتحت والفوق إنما يكون فيما يقابل ويحاذي، ومن ضرورة المحاذي أن يكون أكبر من المحاذى أو أصغر أو مثله، وإنَّ هذا ومثله إنما يكون في الأجسام، وكل ما يحاذي الأجسام يجوز أن يمسها، وما جاز عليه مماسة الأجسام ومباينتها فهو حادث، إذ قد ثبت أن الدليل على حدوث الجواهر قبولها للمباينة والمماسة، فإذا أجازوا هذا عليه قالوا بجواز حدوثه، وإن منعوا جواز هذا عليه لم يبق لنا طريق لإثبات حدوث الجواهر، ومتى قدرناه مستغنيًا عن المحل والحيز ومحتاجًا إلى الحيز، ثم قلنا: إما أن يكونا متجاورين أو متباينين، كان ذلك محالاً؛ فإن التجاور والتباين من لوازم التحيز في المتحيزات، وقد ثبت أن الاجتماع والافتراق من لوازم المتحيز، والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالتحيز؛ لأنه إن كان متحيزًا لم يخل إما أن يكون ساكنًا في حيزه أو متحركًا عنه، ولا يجوز أن يوصف بحركة ولا سكون، ولا اجتماع ولا افتراق، وما جاور أو باين فقد تناهى ذاتًا، والمتناهي إذا خُص بمقدار استدعى مخصِّصًا، وكذا ينبغي أن يقال ليس بداخل في العالم وليس بخارج منه؛ لأن الدخول والخروج من لوازم المتحيزات، وهما كالحركة والسكون وسائر الأعراض التي تختص بالأجرام.

وأما قولهم: "خلق الأماكن لا في ذاته، فثبت انفصاله عنها"، **قلنا:** ذاته تعالى لا تقبل أن يخلق فيها شيء، ولا أن يحُلَّ فيها شيء، والفصل من حيث الحسِّ يوجب عليه ما يوجب على الجواهر، ومعنى الحيز أن الذي يختص به يمنع مثله أن يوجد، وكلام هؤلاء كله مبني على الحسِّ، وقد حملهم الحسُّ على التشبيه والتخليط حتى قال بعضهم: "إنما ذكر الاستواء على العرش لأنه أقرب الموجودات إليه"!!، وهذا جهلٌ أيضًا؛ لأن قرب المسافة لا يُتصور إلا في حق الجسم.

وقال بعضهم: "جهة العرش تحاذي ما يقابله من الذات ولا تحاذي جميع الذات، وهذا صريح في التجسيم والتبعيض"، ويعزُّ علينا كيف ينسب هذا القائل إلى مذهبنا؟.

واحتج بعضهم بأنه على العرش بقوله تعالى: [إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ](فاطر: من الآية 10)، وبقوله تعالى: [وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ](الأنعام: من الآية 18)، وجعلوا ذلك فوقية حسية، ونسوا أن الفوقية الحسية إنما تكون لجسم أو جوهر، وأن الفوقية قد تطلق لعلو المرتبة فيقال: "فلانٌ فوق فلان"[1]، ثم إنه كما قال تعالى: [فَوْقَ عِبَادِهِ] قال: [وَهُوَ مَعَكُمْ](الحديد: من الآية 4)، فمن حملها على العلم، حمل خصمه الاستواء على القهر[2].

(1) في (التفسير الكبير) للفخر الرازي: "العالم كرة، وإذا كان الأمر كذلك امتنع أن يكون إله العالم حاصلاً في جهة فوق، إذا فرضنا إنسانين وقف أحدهما على نقطة المشرق والآخر على نقطة المغرب صار أخمص قدميهما متقابلين، والذي هو فوق بالنسبة لأحدهما يكون تحت بالنسبة إلى الثاني، وكونه تعالى تحت أهل الدنيا محال بالاتفاق، فوجب أن لا يكون في حيز معين". (ز)

(2) يقول الفخر الرازي في (أساس التقديس): "إن ظاهر قوله تعالى: [وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ](قّ: من الآية 16)، وقوله: [وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ](الحديد: من الآية 4)، وقوله: [وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ](الزخرف: من الآية 84) ينفي كونه مستقرًا على العرش، وليس تأويل هذه الآيات لتبقى الآيات التي تمسكوا بها على ظاهرها أولى من العكس" ا.هـ.

أخبرنا علي بن محمد بن عمر الدباس قال: أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب التميمي قال: كان أحمد بن حنبل يقول: "الاستواء صفة مسلمة وليست بمعنى القصد ولا الاستعلاء"، قال: وكان أحمد لا يقول بالجهة للباري؛ لأن الجهات تخلى عما سواها.

وقال ابن حامد: "الحق يختص بمكان دون مكان، ومكانه الذي هو فيه وجود ذاته على عرشه"، وقال: "وذهبت طائفة إلى أن الله تعالى على عرشه قد ملأه، والأشبه أنه مماس للعرش، والكرسي موضع قدميه".

قلت: المماسة إنما تقع بين جسمين، وما أبقى هذا في التجسيم بقية؟!!.

فصلٌ

واعلم أن كل من يتصور وجود الحق سبحانه وجودًا مكانيًّا طلب له جهة، كما أن من تخيل أن وجوده وجود زماني طلب له مدة في تقدُّمه على العالم بأزمنة، وكلا التخيلين باطل.

وقد ثبت أن جميع الجهات تتساوى بالإضافة إلى القائل بالجهة، فاختصاصه ببعضها ليس بواجب لذاته بل هو جائز، فيحتاج إلى مخصِّص يخصِّصه ويكون الاختصاص بذلك المعنى زائدًا على ذاته، وما تطرق الجواز إليه استحال قِدمه؛ لأن القديم هو الواجب الوجود من جميع الجهات[1]، ثم إن كل من هو في جهة يكون مقدَّرًا محدودًا، وهو يتعالى عن ذلك، وإنما الجهات للجواهر والأجسام؛ لأنها أجرام تحتاج إلى جهة، والجهة ليست في جهة، وإذا ثبت بطلان الجهة ثبت بطلان المكان، ويوضحه أن المكان يحيط بمن فيه، والخالق لا يحويه شيء ولا تحدث له صفة.

فإن قيل: فقد أُخرج في الصحيحين عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه ذكر المعراج فقال فيه: فعلا به إلى الجبار تعالى، فقال وهو في مكانه: **p** يا رب خفف عنَّا **i** .

فالجواب: أن أبا سليمان الخطَّابي قال: "هذه لفظة تفرد بها شريك ولم يذكرها غيره، وهو كثير التفرد بمناكير الألفاظ"، والمكان لا يضاف إلى الله عز وجل، إنما هو مكان سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعناه: مقامه الأول الذي أقيم فيه، قال الخطَّابي: "وفي هذا الحديث - **p** فاستأذنت على ربي وهو في داره **i** - يوهم مكانًا، وإنما المعنى في داره التي دوَّرها لأوليائه[2]، وقد قال القاضي أبو يعلى (المجسم) في كتابه (المعتمد): "إن الله عزَّ وجلَّ لا يوصف بالمكان".

(1) والمقصود بالجهات: الاعتبارات.

(2) زاد البيهقي في كتابه (الأسماء والصفات): "وهي الجنة".

8. ومن الآيات: قوله تعالى: [أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ](الملك: من الآية 16)[1].

قلت: وقد ثبت قطعًا أنها ليست على ظاهرها؛ لأن لفظة **[فِي]** للظرفية، والحقُّ سبحانه غير مظروف، وإذا مُنع الحسُّ أن يتصرف في مثل هذا بقى وصف العظيم بما هو عظيم عند الخلق.

9. ومنها قوله تعالى: [يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ](الزمر: من الآية 56)[2]، أي في طاعته وأمره؛ أي لأن التفريط لا يقع إلا في ذلك، وأما الجنب المعهود من ذي الجوارح فلا يقع فيه تفريط.

وقال ابن حامد (المجسم): "نؤمن بأن لله تعالى جنبًا بهذه الآية".

قلت: واعجبًا من عدم العقول!! إذا لم يتهيأ التفريط في جنب مخلوق كيف يتهيأ في صفة الخالق؟!، وأنشد ثعلبٌ وفسَّره: "خليليَّ كفا فاذكرا الله في جنبي" أي في أمري.

10. ومنها قوله تعالى: [فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا](التحريم: من الآية 12)[3]، قال المفسرون: أي من رحمتنا، وإنما نسب الروح إليه؛ لأنه بأمره كان.

11. ومنها قوله تعالى: [يُؤْذُونَ اللَّهَ](الأحزاب: من الآية 57)[4]، أي يؤذون أولياءه كقوله تعالى: **[وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ]** (يوسف: من الآية 82)، أي أهلها.

---

(1) قال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية: "أن هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين؛ لأن كونه في السماء يقتضي كون السماء محيطًا به من جميع الجوانب فيكون أصغر من السماء، والسماء أصغر من العرش بكثير، فيلزم أن يكون الله تعالى شيئًا حقيرًا بالنسبة إلى العرش، وذلك باتفاق أهل الإسلام محال"، وقال الزمخشري ووافقه الفخر **[مَنْ فِي السَّمَاءِ]** فيه وجهان: أحدهما: من ملكوته في السماء؛ لأنها مسكن ملائكته وثَم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ، ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه، والثاني: أنهم كانوا يعتقدون التشبيه وأنه في السماء، وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه، وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم: أأمنتم من تزعمون أنه في السماء وهو متعال عن المكان أن يعذبكم بخسفٍ أو بحاصبٍ، كما تقول لبعض المشبهة: أما تخاف من فوق العرش أن يعاقبك بما تفعل إذا رأيته يركب بعض المعاصي، وقال الرازي أيضًا: "والغرض من ذكر السماء تفخيم سلطان الله وتعظيم قدرته كما قال: **[وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ]**(الأنعام: من الآية 3)، فإن الشيء الواحد لا يكون دفعة واحدة في مكانين"، وقال أيضًا: "لم لا يجوز أن يكون المراد بقوله: **[مَنْ فِي السَّمَاءِ]** هو الملك الموكل بالعذاب وهو جبريل عليه السلام". (ز)

(2) يقول الزمخشري في كشافه: والجنب الجانب، يقال: أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته، وفلان لين الجنب والجانب، ثم قالوا: فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه، قال سابق البربري:

أما تتقين الله في جنب وامق ... له كبد حرّى عليك تقطع

وقال السيد محمود الآلوسي في تفسيره (روح المعاني): "وبالجملة لا يمكن إبقاء الكلام على حقيقته لتنزهه عزَّ وجلَّ من الجنب بالمعنى الحقيقي، ولم أقف على عدِّ أحد من السلف إياه من الصفات السمعية، ولا أعوّل على ما في (المواقف)، وعلى فرض العدِّ كلامهم فيها شهير وكلهم مجمعون على التنزيه وسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وفي حرف عبد الله وحفصة (في ذكر الله)" ا.هـ، وقال العلامة القاسمي في تفسيرها: "أي في جانب أمره ونهيه إذ لم أتبع أحسن ما أنزل".

(3) قال الشهاب الآلوسي: "**[وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي]**(الحجر: من الآية 29)، تمثيل لإفاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها، فليس ثمة نفخ ولا منفوخ، أي فإذا أكملت استعداده وأفضت عليه ما يحيا به من الروح الظاهرة التي هي أمري".

(4) قال الآلوسي: "**[إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ]**(الأحزاب: من الآية 57) أريد بالإيذاء إما ارتكاب ما لا يَرضيانه من الكفر وكبائر المعاصي مجازًا؛ لأنه سبب أو لازم له، وإن كان ذلك بالنظر إليه تعالى بالنسبة إلى غيره سبحانه فإنه كاف في العلاقة، وقيل في إيذائه تعالى هو قول اليهود والنصارى والمشركين: يد الله مغلولة، والمسيح ابن الله، والملائكة بنات الله، والأصنام شركاؤه، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا".

وقال سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **p** أُحد جبل يحبنا ونحبه **i** .

قال الشاعر:

أنبئت أن النار بعدك أوقدت واستَبَّ بعدك يا كليب المجلس

12. **ومنها قوله تعالى: [** هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ **]**(البقرة: من الآية 210)[1]، أي بظلل، وكذلك قوله تعالى: **[** وَجَاءَ رَبُّكَ **]**(الفجر: من الآية 22).

قلت: قال القاضي أبو يعلى (المجسم) عن أحمد بن حنبل إنه قال في قوله تعالى: **[** يَأْتِيَهُمُ **]**، قال: "المراد به: قدرته وأمره"، قال: "وقد بينه في قوله تعالى: **[** أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ **]**(النحل: من الآية 33)"، ومثل هذا في القرآن: **[** وَجَاءَ رَبُّكَ **]** (الفجر: من الآية22)، قال: "إنما هي قدرته".

قال ابن حامد (المجسم): "هذا خطأ، إنما ينزل بذاته بانتقال".

قلت: وهذا الكلام في ذاته تعالى بمقتضى الحسِّ، كما يتكلم في الأجسام، قال ابن عقيل في قوله تعالى: **[** قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي **]**(الإسراء: من الآية 85)، قال: "الله كفَّ خلقه عن السؤال عن مخلوق، فكفُّهم عن الخالق وصفاته أولى"، وأنشدوا:

حقيقة المرء ليس المرء يدركها فكيف يدرك كنه الخالق الأزلي

---

(1) ومما قاله جار الله الزمخشري: "ويجوز أن يكون المأتي به محذوفًا بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته للدلالة عليه بقوله: **[** فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ **]**(الأنفال: من الآية 49)، فإن قلت: لمَ يأتيهم العذاب في الغمام؟، قلت: لأن الغمام مظنة الرحمة فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول؛ لأن الشرَّ إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم، كما أن الخير إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر، فكيف إذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير، ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث، ومن ثمة اشتد على المتفكرين في كتاب الله قوله تعالى: **[** وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ **]**(الزمر: من الآية 47)" ا.هـ، وساق الفخر الرازي في هذا المعنى فصلاً مشبعًا - شأنه في تفسير آيات الصفات- إلى أن قال: "إن قوله: **[** يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ **]** وقوله: **[** وَجَاءَ رَبُّكَ **]** إخبار عن حال القيامة، ثم ذكر هذه الواقعة بعينها في سورة النحل فقال: **[** هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ **]** (النحل: من الآية 33) فصار هذا المحكم مفسرًا لذلك المتشابه؛ لأن كل هذه الآيات لما وردت في واقعة واحدة لم يبعد حمل بعضها على بعض، وقال تعالى بعده: **[** وَقُضِيَ الأَمْرُ **]**(البقرة: من الآية 210)، ولا شك أن الألف واللام للمعهود السابق، فلا بد وأن يكون قد جرى ذكر أمر قبل ذلك حتى تكون الألف واللام إشارة إليه، وما ذاك إلا الذي أضمرناه من أن قوله: **[** يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ **]** أي يأتيهم أمر الله"، وأنهى كلامه بقوله: "والذي هو أوضح عندي من كل ما سلف أنا ذكرنا أن قوله تعالى: **[** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً **]**(البقرة: من الآية 208) إنما نزلت في حقِّ اليهود، وعلى هذا التقدير فقوله: **[** فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ **]**(البقرة: 209) يكون خطابًا مع اليهود، وحينئذ يكون قوله تعالى: **[** هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ **]**(البقرة: من الآية 210)، حكاية عن اليهود، والمعنى أنهم لا يقبلون دينك إلا أن يأتيهم الله في ظللٍ من الغمام والملائكة، ألا ترى أنهم فعلوا مع موسى مثل ذلك فقالوا: **[** لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً **]**(البقرة: من الآية 55)، وإذا كان هذا حكاية عن حال اليهود لم يمنع إجراء الآية على ظاهرها، وذلك لأن اليهود كانوا على مذهب التشبيه وكانوا يجوزون على الله المجيء والذهاب، وكانوا يقولون: إنه تعالى تجلى لموسى عليه السلام على الطور في ظللٍ من الغمام وطلبوا مثل ذلك في زمن محمد عليه الصلاة والسلام".

فصل

باب: ذكر الأحاديث التي سموها أخبار الصفات

اعلم أن في الأحاديث دقائق وآفات لا يعرفهما إلا العلماء الفقهاء، تارة في نظمها وتارة في كشف معناها، وسنوضح بعض ذلك إن شاء الله تعالى:

الحديث الأول

روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال سيدنا ومولانا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: p خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ i [1].

قلت: للناس في هذا مذهبان: أحدهما: السكوت عن تفسيره، والثاني: الكلام في معناه، واختلف أرباب هذا المذهب في الهاء على من تعود؟ على ثلاثة أقوال:

أحدها: تعود على بعض بني آدم، وذلك أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرَّ برجل يضرب رجلاً وهو يقول: "قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك"، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: p إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه، فإن الله تعالى خلق آدم على صورته i .

قالوا: وإنما اقتصر الرواة على بعض الحديث فيحمل المقتصر على المفسَّر، قالوا: فـ "وجه من أشبه وجهك" يتضمن سبَّ الأنبياء والمؤمنين.

وإنما خصَّ آدم بالذكر؛ لأنه هو الذي ابتدأت خلقة وجهه على هذه الصورة التي احتُذِيَ عليها من بعده، وكأنه نبَّه على أنك سببت آدم وأنت من أولاده، وذلك مبالغة في زجره، فعلى هذا تكون الهاء كناية عن المضروب[2]، ومن الخطأ الفاحش أن ترجع إلى الله عزَّ وجلَّ بقوله: "ووجه من أشبه وجهك"، فإنه إذا نُسب إليه شِبهٌ سبحانه وتعالى كان تشبيهًا صريحًا.

وفي (صحيح مسلم) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عله وآله وسلم أنه قال: p إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَّقِ الْوَجْهَ، فَإِنَّ اللَّهَ تعالى خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ i .

---

(1) يقول الراغب الأصفهاني: "الصورة أراد بها ما خصَّ الإنسان بها من الهيئة المدركة بالبصر والبصيرة، وبها فضَّله على كثير من خلقه، وإضافته إلى الله سبحانه على سبيل الملك لا على سبيل البعضية والتشبيه تعالى عن ذلك، وذلك على سبيل التشريف له كقوله: بيت الله وناقة الله، ونحو ذلك: ونفخت فيه من روحي".

(2) مما أورده الرازي في تأويل هذا الخبر قوله: "إن المراد منه إبطال قول من يقول: إن آدم كان على صورة أخرى، مثل ما يقال: إنه كان عظيم الجثة طويل القامة بحيث يكون رأسه قريبًا من السماء، فالنبي عليه السلام أشار إلى إنسان معين - وهو المضروب- وقال: p إن الله خلق آدم على صورته i ، أي كان شكل آدم مثل شكل هذا الإنسان من غير تفاوت البتة". (ز)

القول الثاني: أن الهاء كناية عن اسمين ظاهرين، فلا يصحُّ أن يضاف إلى الله عزَّ وجلَّ لقيام الدليل أنه تعالى على أنه ليس بذي صورة، فعادت إلى آدم.

ومعنى الحديث: إن الله خلق آدم على صورته التي خلقه عليها تامًا، لم ينقله من نطفة إلى علقة كبنيه[1]، هذا مذهب أبي سليمان الخطَّابي، وقد ذكره ثعلبٌ في (أماليه).

القول الثالث: إنها تعود إلى الله تعالى، وفي معنى ذلك قولان: أحدهما: أن تكون صورة مُلك؛ لأنها فعله، فتكون إضافتها إليه من وجهين:

أحدهما: التشريف بالإضافة كقوله تعالى: **[** أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ **]**(البقرة: من الآية 125).

والثاني: لأنه ابتدعها على غير مثال سابق، وقد روي هذا الحديث من طريق ابن عمر رضي الله عنهما عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **p** لا تقبح الوجه، فإن آدم خُلق على صورة الرحمن **i** .

قلت: هذا الحديث فيه ثلاث علل:

أحدها: أن الثوري والأعمش اختلفا فيه، فأرسله الثوري ورفعه الأعمش.

والثانية: أن الأعمش كان يدلس فلم يذكر أنه سمعه من حبيب بن أبي ثابت.

والثالثة: أن حبيبًا كان يدلس فلم يُعلم أنه سمعه من عطاء.

قلت: وهذه أدلة توجب وهنًا في الحديث، ثم هو محمولٌ على إضافة الصورة إليه مُلكًا.

والقول الثاني: أن تكون الصورة بمعنى الصفة، تقول: "هذه صورة هذا الأمر"، أي صفته، ويكون المعنى: خلق آدم على صفته من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والإرادة والكلام، فميَّزه بذلك على جميع الحيوانات، ثم ميَّزه على الملائكة بصفة التعالي حين أسجدهم له.

وقال ابن عقيل: "إنما خصَّ آدم بإضافة صورته إليه لتخصيصه وهي السلطنة التي تشاكلها الربوبية استعبادًا وسجودًا وأمرًا نافذًا وسياساتٍ تعمر بها البلاد ويصلح بها العباد، وليس في الملائكة والجن من تجمَّع على طاعة نوعه وقبيلته سوى الآدمي".

وإن الصورة ها هنا معنوية لا صورة تخاطيط، وقد ذهب أبو محمد ابن قتيبة[1] في هذا الحديث إلى مذهب قبيح فقال: "لله صورة لا كالصور فخلق آدم عليها"؟؟، وهذا تخليط وتهافت؛ لأن معنى كلامه: إن صورة آدم كصورة الحقِّ.

---

(1) ومن الوجوه التي سردها الفخر في هذا المقام قوله: "أنه تعالى لما عظم أمر آدم بجعله مسجود الملائكة، ثم إنه أتى بتلك الزلة فالله تعالى لم يعاقبه بمثل ما عاقب به غيره، فإن نقل أن الله تعالى أخرجه من الجنة وأخرج معه الحية والطاووس وغير تعالى خلقهما مع أنه لم يغير خلقة آدم بل تركه على الخلقة الأولى إكرامًا له وصونًا له عن عذاب المسخ" ا.هـ، وذهب البيهقي هذا المذهب. (ز)

وقال القاضي أبو يعلى (المجسم): "يطلق على الحقِّ تسمية الصورة لا كالصور كما أطلقنا اسم ذاته".

قلت: وهذا تخليط؛ لأن الذات بمعنى الشيء، وأما الصورة فهي هيئة وتخاطيط وتأليف وتفتقر إلى مصور ومؤلف، وقول القائل: "لا كالصور" نقض لما قاله، وصار بمثابه من يقول: "جسم لا كالأجسام"، فإن الجسم ما كان مؤلفًا فإذا قال: "لا كالأجسام" نقض ما قال.

الحديث الثاني

روى عبد الرحمن بن عائش رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **p** رأيت ربي في أحسن صورة، فقال لي: فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟، قلت: أنت أعلم يا رب، فوضع كفه بين كتفيَّ حتى وجدت بردها بين ثدييَّ، فعلمت ما في السماوات والأرض **i** (رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني).

قال أحمد رضي الله عنه: أصل هذا الحديث وطرقه مضطربة، يرويه معاذ رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكل أسانيده مضطربة ليس فيها صحيح، ورواه قتادة عن أنس رضي الله عنه واختلف على قتادة فرواه يوسف بن عطية عن قتادة ووهِم فيه، ورواه هشام عن قتادة عن أبي قلابة عن خالد ابن اللجلاج عن ابن عباس رضي الله عنهما ووهِم في قوله عن ابن عباس، وإنما رواه خالد عن عبد الرحمن بن عائش رضي الله عنه وعبد الرحمن لم يسمعه من سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما رواه عن مالك ابن يخامر عن معاذ.

قلت: قد ذكرنا أنه لا يصح، وقال أبو بكرٍ البيهقي: "فقد روي من أوجهٍ كلها ضعيفة، وأحسن طرقه تدل على أن ذلك كان في النوم".

وقد روي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **p** أتاني آت في أحسن صورة فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟، فقلت: لا أدري، فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعرفت كل شيء يسألني عنه **i** .

وروي من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد صلاة الصبح فقال: **p** إن ربي أتاني الليلة في أحسن صورة فقال لي: يا محمد، فيم يختصم الملأ العلى؟، قلت: لا أدري يا رب، فوضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري فتجلى لي ما بين السماء والأرض **i** .

وروي عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **p** لما كنت ليلة أُسري بي رأيت ربي في أحسن صورة **i** .

---

(1) هو صاحب التصانيف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة أحد أئمة الأدب، إخباري، قليل الرواية، قد يعتمد في التشبيه على ما يرويه من كتب أهل الكتاب، يتهم بالنصب، كذبه الحاكم ووثقه غيره، مات عام ست وسبعين ومائتين. (ز).

قلت: وهذه أحاديث مختلفة وليس فيها ما يثبت، وفي بعضها: **p** أتاني آت **i** وذلك يرفع الإشكال، وأحسن طرقها يدل على أن ذلك كان في النوم ورؤيا المنام وهم، والأوهام لا تكون حقائق[1]، وأن الإنسان يرى كأنه يطير أو كأنه قد صار بهيمة، وقد رأى أقوام في منامهم الحق سبحانه على ما ذكرنا، وإن قلنا إنه رآه في اليقظة فالصورة إن قلنا: ترجع إلى الله تعالى فالمعنى رأيته على أحسن صفاته من الإقبال عليَّ والرضا عني، وإن قلنا: ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالمعنى رأيته وأنا على أحسن صورة[2].

قلت: والعجب مع اضطراب هذه الأحاديث وكون مثلها لا يثبت به حكمٌ في الوضوء كيف يحتجون بها في أصول الدين والعقائد؟!!، وروى ابن حامد (المجسم) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "ولما أُسري بي رأيت الرحمن تعالى في صورة شاب أمرد له نور يتلألأ، وقد نهيت عن وصفه لكم، فسألت ربي أن يكرمني برؤيته، وإذا هو كأنه عروس حين كشف عنه حجابه مستوٍ على عرشه".

قلت: هذا الحديث كذب قبيح، ما روي قط لا في صحيح ولا في كذب، فأبعد الله من عمله، فقد كنا نقول: ذلك في المنام، فذكر (الوضَّاع) هذا في ليلة الإسراء، كافأهم الله وجزاهم النار، يشبهون الله سبحانه وتعالى بعروس! لا يقول هذا مسلم!!.

وأما ذكر البَرْدِ في الحديث الماضي فإن البرد عرض لا يجوز أن ينسب إلى الله عزَّ وجلَّ، وقد ذكر القاضي أبو يعلى (المجسم) في كتابه (الكناية): "رأيت ربي في أحسن صورة" أي في أحسن موضع.

الحديث الثالث

روت أم الطفيل امرأة أُبيِّ بن كعب رضي الله عنهما أنها سمعت سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكر "أنه رأى ربه عزَّ وجلَّ في المنام في أحسن صورة، شابًا موفرًا، رجلاه في خضرة، عليه نعلان من ذهب، على وجهه فراش من ذهب".

قلت: هذا الحديث يرويه نُعيم بن حماد بن معاوية المروزي، قال ابن عَدِي: "كان يضع الحديث"، وقال يحيى بن معين: "ليس نُعيم بشيء في الحديث"، وفي إسناده مروان بن عثمان عن عمارة بن عامر، قال أبو عبد الرحمن النسائي: "ومن مروان حتى يصدق على الله عزَّ وجلَّ"، وقال مهنى بن يحيى: سألت أحمد عن هذا الحديث فأعرض بوجه وقال:

---

(1) يقول الحافظ ابن حجر في مثل هذا المقام: ولا التفات إلى من تعقب كلامه بقوله: في الحديث الصحيح (أن رؤيا الأنبياء وحي) فلا يحتاج إلى تعبير لأنه كلام من لم يمعن النظر في هذا المحل، فقد تقدم في كتاب التعبير أن بعض رؤى الأنبياء يقبل التعبير ا.هـ. (ز)

(2) بقي على المؤلف أن يتكلم على عجز الحديث، ونحن ننقل عن (أساس التقديس للفخر الرازي) ما بقي بالغرض: وما قوله (وضع يده بين كتفي) ففي وجهان: الأولى المراد منه المبالغة في الاهتمام بحاله والاعتناء بشأنه. الثاني أن يكون المراد من اليد النعمة. وأما قوله (بين كتفي) فإن صح فالمراد منه أنه أوصل إلى قلبه من أنواع اللطف والرحمة، وأما قوله (فوجدت بردها) فيحتمل أن المعنى برد النعمة وروحها وراحتها، من قولهم، عيش بارد إذا كان رغدًا، والذي يدل على أن المراد منه كمال المعارف قوله عليه السلام في آخر الحديث (فعلمت ما بين المشرق والمغرب) ا.هـ. (ز)

"حديثه منكر مجهول"، يعني مروان بن عثمان، قال: "ولا يعرف أيضًا"، وقد روى عبيد الله بن أبي سلمة قال: "بعث ابن عمر إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهم يسأله هل رأى محمد ربه؟، فأرسل إليه أن نعم قد رآه، فردَّ الرسول إليه كيف رآه؟، قال: رآه على كرسيٍّ من ذهب يحمله أربعة من الملائكة في صورة رجل".

قلت: وهذا الحديث تفرَّد به ابن إسحاق وكذَّبه جماعة من العلماء، وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما "رآه كأن قدميه على خضرةٍ دونه سترٌ من لؤلؤ".

قلت: وهذا يرويه إبراهيم بن الحكم بن أبان، وقد ضعفه يحيى بن معين وغيره، وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "رأيت ربي أجعد أمرد عليه حُلة خضراء".

قلت: وهذا يروى من طريق حماد بن سلمة، وكان ابن أبي العوجاء الزنديق ربيب حماد يدسُّ في كتبه هذه الأحاديث، على أن هذا كان منامًا والمنام خيال.

ومثل هذه الأحاديث لا ثبوت لها، ولا يحسن أن يحتج بمثلها في الوضوء، وقد أثبت بها القاضي أبو يعلى (المجسم) لله تعالى صفاتٍ فقال: "قوله: شاب، وأمرد، وجعد، وقطط، والفراش والنعلان والتاج"، قال: "ثبت ذلك تسمية لا يعقل معناها، وليس في إثباتها أكثر من تقريب المُحدث من القديم، وذلك جائزٌ كما روي **p** يدني عبده إليه **i** ، يعني يقربه إلى ذاته".

قلت: ومن يثبت بالمنام وبما لا يصحُّ نقله صفات؟!، وقد عرفنا معنى الشاب والأمرد ما هو!!، ثم يقول: "ما هو كما نعلم"، كمن يقول: "قام فلان وما هو قائم، وقعد وليس بقاعد"، قال ابن عقيل: "هذا الحديث مقطوع بأنه كذب"، ثم لا تنفع ثقة الرواة إذا كان المتن مستحيلاً، وصار هذا كما لو أخبرنا جماعة من المعدلين بأن جَمَلَ البزاز دخل في خرم إبرة الخياط، فإنه لا حكم لصدق الرواة مع استحالة خبرهم.

الحديث الرابع

روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "انتهيت ليلة أسري بي إلى السماء فرأيت كل شيء من ربي، حتى لقد رأيت تاجًا مخوصًا من لؤلؤ".

قلت: هذا يرويه أبو القاسم عبد الله بن محمد بن اليسع عن القاسم بن إبراهيم، قال الأزهري: "كنت أقعد مع ابن اليسع ساعة فيقول: قد ختمت الختمة منذ قعدت، وقاسم ليس بشيء"، قال الدارقطني: "هو كذاب".

قلت: كافأ الله من عمل مثل هذا الحديث.

الحديث الخامس

روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: p يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتَّبعه، فيتبعون ما كانوا يعبدون، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تعالى في غير الصورة التي كانوا يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا i .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: p فيأتيهم الجبار في غير الصورة التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فيقال: هل بينكم وبينه آية تعرفونها؟، فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن i [1].

قلت: اعلم أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد أن الله سبحانه وتعالى لا تجوز عليه الصورة التي هي هيئة وتأليف.

قال أبو سليمان الخطَّابي: "معنى p فيأتيهم الله i : أي يكشف الحجاب لهم حتى يرونه عيانًا كما كانوا عرفوه في الدنيا استدلالاً، فرؤيته بعد أن لم يكونوا رأوه بمنزلة إتيان الآتي ولم يكن شوهد من قبل، وأما الصورة فتتأول على وجهين، أحدهما: أنها بمعنى الصفة، يقال: صورة الأمر كذا، والثاني: أن المذكورات من المعبودات في أول الحديث صور يخرج الكلام على نوعين من المطابقة، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: p في غير الصورة التي رأوه فيها i دليلٌ على أن المراد بالصورة الصفة؛ لأنهم ما رأوه قبلها فعُلم أن المراد الصفة التي عرفوه فيها".

وقال غيره من العلماء: يأتيهم بأهوال القيامة، وصور الملائكة[2] مما لم يعهدوا مثله في الدنيا فيستعيذون من تلك الحال ويقول: إذا جاء ربنا عرفناه، أي أتى ما يعرفونه من لطفه، وهي الصورة التي يعرفون، فيكشف عن ساق: أي عن شدة كأنه يرفع تلك الشدائد المهولة فيسجدون شكرًا؛ وقال بعضهم: صورة يمتحن إيمانهم بها، كما يبعث الدجال فيقولون نعوذ بالله منك، وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: p أن الناس يقولون: إن لنا ربًا كنا نعبده في الدنيا، فيقال: أَوَتعرفونه إذا رأيتموه؟، فيقولون: نعم، فيقال: كيف تعرفونه ولم تروه؟، فيقولون: إنه لا شبيه له، فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله عزَّ وجلَّ فيخرون سجدًا i .

قال ابن عقيل: "الصورة على الحقيقة تقع على الأشكال والتخاطيط، وذلك من صفات الأجسام، والذي صرفَنا عن كونه جسمًا الأدلة القطعية كقوله: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ](الشورى: من الآية 11)، ومن الأدلة العقلية أنه لو كان جسمًا لكان صورة وعرضًا، ولو كان حاملاً الأعراض جاز عليه ما يجوز على الأجسام وافتقر إلى صانع، ولو كان جسمًا مع

---

(1) لقدم الكلام على هذا الحديث عند تفسير قوله تعالى: [يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ](القلم: من الآية 42).

(2) باعتبار (في) بمعنى الباء، ونظيره قول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: [هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ](البقـــرة:210) أي بظلل من الغمام على ما نقله الفخر الرازي في كتابه (أساس التقديس). (ز)

قدمه جاز قدم أحدنا، فأحوجتنا الأدلة إلى تأويل صورة تليق إضافتها إليه، وما ذلك إلا الحال الذي يوقع عليها أهل اللغة اسم صورة، فيقولون: كيف صورتك مع فلان؟، وفلان على صورة من الفقر، والحال التي أنكروها الغضب، والتي يعرفونها اللطف فيكشف عن الشدة، والتغيرات أليق بفعله، فأما ذاته فتعالى عن التغير، نعوذ بالله أن يحمل الحديث على ما قالته المجسمة: "إن الصورة ترجع إلى ذاته"، فإن في ذلك تجويز التغير على صفاته، فخرَّجوه في صورة، إن كانت حقيقة فذلك استحالة، وإن كانت تخيلاً فليس ذلك هو، إنما يريهم غيره".

الحديث السادس

روى مسلم في صحيحه من حديث المغيرة رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **p** لا شخص أغير من الله، ولا شخص أحب إليه العذر من الله، ولا شخص أحب إليه المدحة من الله **i** .

قلت: لفظة: **p** الشخص **i** ، يرويها بعض الرواة، ويروى بعضهم: **p** لا شيء أغير من الله **i** ، والرواة يروون بما يظنون به المعنى، فيكون لفظ **p** شخص **i** من تغيير الرواة، والشخص لا يكون إلا جسمًا مؤلفًا، وسمي شخصًا لأن له شخوصًا وارتفاعًا، والصواب أنه يرجع ذكر الشخص إلى المخلوقين لا أن الخالق يقال له شخص، ويكون المعنى: ليس منكم أيها الأشخاص أغير من الله؛ لأنه لما اجتمع الكل بالذكر سمى بأسمائهم، ومثل هذا قول ابن مسعود رضي الله عنه: **p** ما خلق الله من جنة ولا نار أعظم من آية الكرسي **i** ؛ قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: "الخلق يرجع إلى الجنة والنار لا إلى القرآن"، ومن هذا الجنس قوله تعالى: **[** أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً **]** (الفرقان:24)، ومعلومٌ أن أهل النار لا مستقر لهم ولا مقيل، ويمكن أن يكون هذا من باب المستثنى من غير الجنس كقوله تعالى: **[** مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ **]**(النساء: من الآية 157)، وقد أجاز بعضهم إطلاق الشخص على الله تعالى، وذلك غلط لما بيناه.

وأما الغيرة فقد قال العلماء: "كل من غار من شيء اشتدت كراهيته له، فلما حرم الفواحش وتوعد عليها وصفه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالغيرة".

الحديث السابع

روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **p** إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا من جميع الأرض **i** [1].

المعنى: مقدار قبضته وليست على ما يتصور من قبضات المخلوقين، فإن الحقَّ منزَّهٌ عن ذلك.

(1) يقول السيوطي في (الجامع الكبير): "أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد والحاكم والبيهقي في (السنن) والطبراني في (الكبير) وابن سعد".

وإنما أضيفت القبضة إليه؛ لأن أفعال المملوك تنسب إلى المالك، وذلك أنه بَعَثَ من قبض كقوله تعالى: [فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ](القمر: من الآية 37)، وقد روى محمد بن سعد في كتاب (الطبقات): p أن الله تعالى بعث إبليس فأخذ من أديم الأرض فخلق منه آدم فمن ثم قال: [أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا](الإسراء: من الآية 61) i .

قال القاضي أبو يعلى (المجسم): "لا يمتنع إطلاق اسم القبض إليه، وإضافة القبضة لا على معنى الجارحة ولا على المعالجة والممارسة".

قلت: فيقال له: أطلقت وما تدري.

الحديث الثامن

روى سلمان قال: إن الله تعالى لما خمَّر طينة آدم ضرب بيده فيه، فخرج كل طيِّب في يمينه، وكل خبيث في يده الأخرى، ثم خلط بينهما، فمن ثم يُخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي.

قلت: وهذا مرسل، وقد ثبت بالدليل أن الله سبحانه وتعالى لا يوصف بمسِّ شيء، فإن صحَّ فضرب مثلٍ لما جرت به الأقدار.

وقال القاضي أبو يعلى (المجسم): "تخمير الطين وخلط بعضه ببعض مضاف إلى اليد التي خُلق بها آدم".

قلت: وهذا التشبيه المحض.

الحديث التاسع

روى عبيد بن حُنين قال: بينما أنا جالس في المسجد إذ جاء قتادة بن النعمان فجلس يتحدث ثم قال: "انطلق بنا إلى أبي سعيد الخدري فإني قد أُخبرت أنه قد اشتكى"، فانطلقنا حتى دخلنا على أبي سعيد فوجدناه مستلقيًا واضعًا رجله اليمنى على اليسرى، فسلمنا عليه وجلسنا، فرفع قتادة يده إلى رجل أبي سعيد فقرصها قرصة شديدة، فقال أبو سعيد: "سبحان الله يا ابن أُمَّ أوجعتني"، فقال: "ذلك أردت"، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إن الله لما قضى خلقه استلقى ثم وضع إحدى رجليه على الأخرى ثم قال: لا ينبغي لأحد من خلقي أن يفعل هذا"، قال أبو سعيد: "لا جرم لا أفعله أبدًا"[1].

قلت: وقد رواه عبد الله بن أحمد عن أبي بكر محمد بن إسحاق الصاغاني قال: حدثني إبراهيم بن المنذر قال: حدثنا محمد بن فليح عن سعيد بن الحارث عن عبيد الله بن حنين.

---

(1) روى الحافظ البيهقي هذا الخبر في (الأسماء والصفات) وقال: "فهذا حديث منكر و لم أكتبه إلا من هذا الوجه، وفليح بن سليمان - أحد رواته- مع كونه من شرط البخاري ومسلم فلم يخرجا حديثه هذا في الصحيح، وهو عند الحفاظ غير محتج به، عن يحيى بن معين يقول: فليح بن سليمان لا يحتج بحديثـــه، عنه يقول: فليح ضعيف، وعن النسائي أنه قال: فليح ليس بالقوي، قال الشيخ: فإذا كان فليح بن سليمان المدني مختلفًا في جواز الاحتجاج به عند الحفاظ لم يثبت بروايته مثل هذا الأمر العظيم" ا.هـــ، وذكر أيضًا علة عدم اجتماع عبيد بقتادة.

قلت: قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: "ما رأيت هذا الحديث في ديوان من دواوين الشريعة المعتمد عليها"، وكان أحمد بن حنبل يذم إبراهيم بن المنذر ويتكلم فيه، وقال زكريا الساجي: "عنده مناكير"، وقال يحيى بن معين: "فليح ليس حديثه بالجائز"، وقال مرة: "هو ضعيف"، وقال النسائي: "ليس بالقوي".

وأما عبيد بن حنين فقال البخاري: "لا يصحُّ حديثه في أهل المدينة"، وقال أبو بكر البيهقي: "إذا كان فليح مُختَلَفًا في جواز الاحتجاج عند الحفاظ به لم يثبت بروايته مثل هذا الأمر العظيم"، قال: "وفي الحديث علة أخرى وهي أن قتادة بن النعمان مات في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعبيد بن حنين مات سنة خمس ومائة وله خمس وسبعون سنة في قول الواقدي، فتكون روايته عن قتادة بن النعمان منقطعة، وقول الراوي: "فانطلقنا حتى دخلنا على أبي سعيد" لا يرجع إلى عبيد بن حنين، وإنما يرجع إلى من أرسله عنه ونحن لا نعرفه"، قال: "ولا نقبل المراسيل في الأحكام فكيف في هذا الأمر العظيم".

قال الإمام أحمد: "ثم لو صحَّ طريقه احتمل أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حدَّث به عن بعض أهل الكتاب على طريق الإنكار عليهم فلم يفهم قتادة إنكاره عليهم".

قلت: ومن هذا الفنِّ حديث رويناه، أن الزبير سمع رجلاً يحدِّث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستمع له الزبير حتى إذا قضى الرجل حديثه قال له الزبير: "أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟"، قال: "نعم"، قال: "هذا وأشباهه يمنعنا أن نحدِّث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"، قال: "لعمري سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا يومئذ حاضر، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابتدأ بهذا الحديث فحدثَناه عن رجل من أهل الكتاب حدثه إياه، فجئت أنت يومئذ بعد انقضاء صدر الحديث وذكر الرجل الذي هو من أهل الكتاب فظننتَ أنه من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم".

قلت: وغالب الظنِّ أن الإشارة في حديث الزبير إلى حديث قتادة، فإن أهل الكتاب قالوا: إن الله تعالى لما خلق السموات والأرض استراح، فنزل قوله تعالى: **[** وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ **]**(قّ: من الآية 38).

فيمكن أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حكى ذلك عنهم، ولم يسمع قتادة أول الكلام.

وقد روى أبو عبد الرحمن ابن أحمد في كتاب (السنة) عن أبي سفيان قال: "رأيت الحسن قد وضع رجله اليمنى على شماله وهو قاعد، فقلت: "يا أبا سعيد تكره هذه القعدة؟"، فقال: "قاتل الله اليهود، ثم قرأ قوله تعالى: **[** وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ **]**(قّ: 38)"، فعرفت ما عنى فأمسكت".

قلت: وإنما أشار الحسن إلى ما ذكرناه عن اليهود.

وروينا عن العوَّام بن حوشب قال: "سألت أبا مجلز عن رجلٍ يجلس فوضع إحدى رجليه على الأخرى"، قال: "لا بأس، وإنما ذكر ذاك اليهود، زعموا أن الله عزَّ وجلَّ خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام".

قلت: وقد تأول بعض العلماء الحديث الذي نحن فيه على تقدير الصحة فقال: "معنى استلقى: أتمَّ خلقه وفرغ، يقال: فلان بنى لفلان داره واستلقى على ظهره: أي لم يبق له فيها عمل، وقوله: "وضع رجلاً على رجل": أي وضع بعض المخلوقات على بعض".

وذهب القاضي أبو يعلى (المجسم) إلى جعل الاستلقاء صفة، وأنه وضع رجلاً على رجل، ثم قال: "لا على وجه يعقل معنا"، قال: "ويفيد الحديث إثبات رجلين".

قلت: ولو لم يعقله ما أثبت رجلين، ولا نثبت صفات بمثل هذا الحديث المعلول، ولو لم يكن معلولاً لم نثبت صفةً بأخبار آحاد.

وقد صحَّ عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما أنهم كانوا يستلقون ويضعون رجلاً على رجل، وإنما يُكره هذا لمن لا سراويل له.

الحديث العاشر

روى القاضي أبو يعلى (المجسم) عن ابن عطية أن رجلاً من المشركين سبَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحمل عليه رجل من المسلمين فقاتله وقُتل الرجل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "ما تعجبون من نصر الله ورسوله، لقي الله تعالى متكئًا فقعد له".

قلت: هذا حديثٌ مقطوع بعيد الصحة، ولو كان له وجه كان المعنى: فأقبل عليه وأنعم.

الحديث الحادي عاشر

روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **p** لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ **i** [1].

قلت: الواجب علينا أن نعتقد أن ذات الله تعالى لا تتبعض ولا يحويها مكان ولا توصف بالتغير ولا بالانتقال.

وقد حكى أبو عبيد الهروي عن الحسن البصري أنه قال: "القدم: هُم الذين قدمهم الله تعالى من شرار خلقه وأثبتهم لها".

(1) يقول جار الله الزمخشري في كتابه (الفائق في غريب الحديث): "وضع القدم على الشيء مثلٌ للردع والقمع، فكأنه قال: يأتيها أمر الله فيكفها عن طلب المزيد فترتدع" ا.هـ، وفي (أساس البلاغة): "من المجاز: "فيضع قدمه عليها"، أي فيسكنها ويكسر سورتها كما يضع الرجل قدمه على الشيء المضطرب فيسكنه".

وقال الإمام ابن الأعرابي: "القدم: المتقدم"، وروى أبو بكر البيهقي عن النضر بن شميل أنه قال: "القدم ها هنا: الكفار الذين سبق في علم الله أنهم من أهل النار".

وقال أبو منصور الأزهري: القدم: هم الذين قدَّم الله بتخليدهم في النار، فعلى هذا يكون في المعنى وجهين:

أحدهما: كل شيء قدَّمه، يقال: لِمَا قُدِّم قَدَم، ولما هُدِّم هَدَم، ويؤيد هذا قوله في تمام الحديث: **p** وأما الجنة فينشئ لها خلقًا **i** .

ووجه ثانٍ: إن كل قادم عليها سُمي قادمًا، فالقَدَم جمع قادم، فبعض الرواة رواه بما يظنه المعنى من أن المُقدَّم "الرِّجْل"، وقد رواه الطبراني من طرقٍ فقال: "لقدمه ورجله".

قلت: وهذا دليلٌ على تغير الرواة بما يظنونه على أن الرِّجْل في اللغة جماعة.

ومن يرويه بلفظ: "الرِّجْل" فإنه يقول: "رِجلٌ من جَرَاد"، فيكون المراد: يدخلها جماعة يشبهون في كثرتهم الجراد فيسرعون التهافت فيها.

وقال القاضي أبو يعلى (المجسم): "القدم صفة ذاتية".

وقال ابن الزاغوني (المجسم): "نقول إنما وضع قدمه في النار ليخبرهم أن أصنافهم تحترق وأنا لا أحترق".

قلت: وهذا إثبات تبعيض وهو من أقبح الاعتقادات.

قلت: ورأيت أبا بكر بن خزيمة قد جمع كتابًا في الصفات[1] وبوَّبه فقال: "باب إثبات اليد، باب إمساك السماوات على أصابعه، باب إثبات الرِّجْل وإن رغمت أنوف المعتزلة"، ثم قال: "قال الله تعالى: **[** أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا **]**(الأعراف: من الآية 195)، فأعلمنا أن ما لا يد له ولا رجل فهو كالأنعام".

قلت: وإني لأعجب من هذا الرجل مع علو قدره في علم النقل يقول هذا ويثبت لله ما ذمَّ الأصنام بعدمه من اليد الباطشة والرجل الماشية، ويُلزمه أن يثبت الأُذن، ولو رزق الفهم ما تكلم بهذا، ولفهم أن الله تعالى عاب الأصنام عند عابديها، والمعنى: لكم أيدٍ وأرجلٌ فكيف عبدتم ناقصًا لا يد له يبطش ولا رِجْل يمشي بها.

قال ابن عقيل: "تعالى الله أن يكون له صفة تشغل الأمكنة، هذا عين التجسيم، وليس الحقُّ بذي أجزاء وأبعاض يعالج بها، ثم أليس يعمل في النار أمره وتكوينه؟، فكيف يستعين بشيء من ذاته ويعالجها بصفة من صفاته وهو القائل: **[** كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا **]**(الأنبياء: من الآية 69)؟!!، فما أسخف هذا الاعتقاد وأبعده عن مُكوِّن الأملاك والأفلاك، فقد كذبهم الله تعالى في كتابه إذ قال: **[** لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا **]**(الأنبياء: من الآية 99)، فكيف يُظن بالخالق أنه يردها؟!!، تعالى الله عن تجاهل المجسمة".

(1) وهو الكتاب الذي يسميه (كتاب التوحيد)، والإمام فخر الدين الرازي يقول عنه: "وهو في الحقيقة كتاب الشرك". (ز)

الحديث الثاني عشر

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: p ضرس الكافر مثل أحد، وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعًا بذراع الجبار i [1].

قال أبو عمر الزاهد: "الجبار ها هنا الطويل"، يقال: نخلة جبارة[2].

قال ابن قتيبة: "الجبار ها هنا الملك، والجبابرة الملوك".

قال القاضي أبو يعلى (المجسم): "نحمله على ظاهره، والجبار هو الله تعالى".

قلت: واعجبًا، أذهبت العقول إلى هذا الحد؟!!، أيجوز أن يقال: إن ذراع الله سبحانه اثنان وأربعون مرة تبلغ جلد الكافر، ويضاف الذراع إلى ذات القديم سبحانه، ثم يقال: "ليس بجارحة"، فإذا لم يكن جارحة كيف ينشئ اثنين وأربعين مرة؟!!، تعالى الله عن ذلك علو كبيرًا.

الحديث الثالث عشر

روى القاضي أبو يعلى (المجسم) عن مجاهد أنه قال: إذا كان يوم القيامة يذكر داود عليه الصلاة والسلام ذنبه فيقول الله: "كن أمامي"، فيقول: "يا رب ذنبي"، فيقول: "كن خلفي"، فيقول: "يا رب ذنبي"، فيقول له: "خذ بقدمي".

وفي لفظٍ عن ابن سيرين: "أن الله تعالى لَيُقَرِّبُ داود حتى يضع يده على فخذه".

قلت: والعجب من إثبات صفات الحقِّ سبحانه وتعالى بأقوال التابعين، وما تصحُّ عنهم، ولو صحَّت فإنما يذكرونها عن أهل الكتاب كما يذكر وهب بن منبه.

قال القاضي أبو يعلى (المجسم): "نحمله على ظاهره؛ لأنا لا نثبت قدمًا ولا فخذًا هو جارحة، وكذلك لا نثبت الأمام".

قلت: واعجبًا، لقد كملوا هيئة البدن بإثبات فخذ وساق وقدم ووجه ويدين وأصابع وخنصر وإبهام وجَنْب وحِقْو وصعود ونزول، ويقولون تحمل على ظاهرها وليست جوارح، وهل يجوز لعاقل أن يثبت لله تعالى خلفًا وأمامًا وفخذًا؟، ما ينبغي أن يُحدَّث هؤلاء.

---

(1) يقول الشيخ إسماعيل العجلوني في كتابه (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس): "رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعًا، وأحمد والطبراني والبيهقي عن ابن عمر مرفوعًا، والترمذي عن أبي هريرة بألفاظ متقاربة".

(2) ة في كتابه (تأويل مختلف الحديث) في كلامه على هذا الحديث:

ولأنا قد عرفنا الفخذ فيقال: ليس بفخذ، والخلف ليس بخلف، ومثل هؤلاء لا يُحدَّثون، فإنهم يكابرون العقول وكأنهم يحدِّثون الأطفال.

الحديث الرابع عشر

روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: p يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلانِ الْجَنَّةَ i ، وفي أفراد مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم p أخبر عن آخر من يدخل الجنة وضحك i ، فقيل: مم تضحك؟، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: p من ضحك رب العالمين، حين قال: أتستهزئ مني i .

قلت: اعلم أن الضحك له معان ترجع إلى معنى البيان والظهور، وكل من أبدى عن أمر كان مستورًا قيل: قد ضحك، يقال: ضحكت الأرض بالنبات إذا ظهر ما فيها وانفتق عن زهره، كما يقال: بكت السماء، قال الشاعر:

كُـــلُّ يَـــومٍ بـــالأُقحُوانِ جديـــدُ تضـــحكُ الأرضُ مـــن بكـــاءِ الســـماءِ

وكذلك الضحك الذي يعتري البشر إنما هو انفتاح الفم عن الأسنان، وهذا يستحيل على الله تعالى، فوجب حمله على: "إبداء كرم الله وإبانة فضله".

ومعنى: p ضحكت لضحك ربي i : أبديت عن أسناني بفتح فمي لإظهار فضله وكرمه، وقول الآخر: "لن نعدم من ربٍّ يضحك خيرًا"، أي: يكشف الكرب، فرَّق بينه وبين الأجسام التي لا يُرجى خيرها.

قلت: وهذا تأويل جماعةٍ من العلماء، وقال الخطَّابي: "معنى ضحك الجبار عزَّ وجلَّ المراد به: الرضا وحسن المجازاة".

وقد روي في حديث موقوف: "فضحك حتى بدت لهواته وأضراسه"، ذكره الخلال في كتاب (السنة)، وقال المروزي: قلت لأبي عبد الله - أحمد بن حنبل-: ما تقول في هذا الحديث...؟، قال: "هذا بشع".

قال: ثم على تقدير الصحة يحتمل أمرين:

أحدها: أن يكون ذلك راجعًا إلى سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كأنه ضحك حين أخبر بضحك الربِّ حتى بدت لهواته وأضراسه صلى الله عليه وآله وسلم، كما روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم p ضحك حتى بدت نواجذه i ، وهذا هو الصحيح لو ثبت الحديث، وإنما هو مقطوع.

الثاني: أن يكون تجوُّزًا عن كثرة الكرم وسعة الرضا، كما جوَّز بقوله: "ومن أتاني يمشي أتيته هرولة".

قال القاضي أبو يعلى (المجسم): "لا يمتنع الأخذ بظاهر الأحاديث في إمرارها على ظواهرها من غير تأويل".

قلت: واعجبًا، قد أثبت لله تعالى صفات بأحاديث وألفاظ لا تصح، وإذا لم يُثبت ضحكًا معقولاً فقد تأول ولا يدري، وواعجبًا، قد عرف أن الضحك يشار به إلى الفضل والإنعام، فالأضراس ما وجهها؟!!، والله لو رويت في الصحيحين وجب ردها، فكيف وما ثبتت أصلاً، وقد روى أحمد: p لو أن الناس اعتزلوهم i ، يعني الأمراء فقال: "اضرب على هذا"، وهذا الحديث في الصحيحين فكيف بحديثٍ لا يثبت، يخالف المنقول والمعقول.

قلت: ومن أثبت الأضراس صفة فما عنده من الإسلام خبر.

الحديث الخامس عشر

روى القاضي أبو يعلى (المجسم) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه موقوفًا أنه قال: "خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر".

قلت: وقد أثبت به القاضي أبو يعلى (المجسم) ذراعين وصدرًا لله عزَّ وجلَّ.

قلت: وهذا قبيح؛ لأنه حديث ليس بمرفوع ولا يصح، وهل يجوز أن يخلق مخلوق من ذات الله القديم؟!، هذا أقبح مما ادعاه النصارى!!!.

الحديث السادس عشر

روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: p إن الله يدني عبده المؤمن فيضع عليه كَنَفَهُ ويقول: أتعرف ذنب كذا؟ i .

قال العلماء: "يدينه من رحمته ولطفه"، وقال ابن الأنباري: "وكنفه: حياطته وستره، يقال: قد كنف فلان فلانًا إذا أحاطه وستره، وكل شيء ستر شيئًا فقد كنفه، ويقال للتُّرس كنيف؛ لأنه يستر صاحبه".

قال القاضي أبو يعلى (المجسم): "يدينه من ذاته".

وهذا قول من لم يعرف الله عزَّ وجلَّ، ولا يعلم أنه لا يجوز عليه الدنو الذي هو بالمسافة، وكذلك قوله: "إنه ليدنو يوم عرفة"، أي: يقرب بلطفه وعفوه.

الحديث السابع عشر

روى مسلم في أفراده من حديث معاوية بن الحكم قال: "كانت لي جارية ترعى غنمًا لي، فانطلقت ذات يوم، فإذا الذئب قد ذهب بشاة، وأنا من بني آدم آسفُ كما يأسفون فصككتها صكة، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعظَّم ذلك عليَّ، فقلت: ألا أعتقها؟، قال صلى الله عليه وآله وسلم: p ائتني بها i ، فأتيته بها، فقال لها صلى الله عليه وآله وسلم: p أين الله؟ i ، قالت: في السماء، قال صلى الله عليه وآله وسلم: p من أنا؟ i ، قالت: أنت رسول الله، قال صلى الله عليه وآله وسلم: p أعتقها فإنها مؤمنة i ".

قلت: قد ثبت عند العلماء أن الله تعالى لا تحويه السماء ولا الأرض ولا تضمه الأقطار، وإنما عَرَفَ بإشارتها تعظيم الخالق جلَّ جلاله عندها.

الحديث الثامن عشر

رواه أبو رَزِين العقيلي قال: "قلت يا رسول الله: أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟، قال صلى الله عليه وآله وسلم: **p** كان في عماء، ما تحته هواء، وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء **i** "[1].

قلت: هذا حديثٌ تفرَّد به يعلى بن عطاء عن وكيع بن عُدُس، وليس لوكيع راوٍ غير يعلى، والعماء: السحاب.

اعلم أن الفوق والتحت يرجعان إلى السحاب لا إلى الله تعالى و **p** في **i** بمعنى: فوق، والمعنى: كان فوق السحاب بالتدبير والقهر، ولما كان القوم يأنسون بالمخلوقات سألوا عنها، والسحاب من جملة خلقه، ولو سئل عما قبل السحاب لأخبر أن الله تعالى كان ولا شيء معه، كذلك روي عن عمران بن حصين عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **p** كان الله ولا شيء معه **i** .

وقال أبو الحسين ابن المنادى ونقلته من خطه: "وصف الهواء بالفوقية والتحتية مكروهٌ عند أهل العلم لما في ذلك من الجعل كالوعاء لمن ليس كالأشياء جلَّ وتعالى"، قال: "ولسنا نختلف أن الجبار لا يعلوه شيء من خلقه بحال، وأنه لا يحُلُّ في الأشياء بنفسه ولا يزول عنها؛ لأنه لو حلَّ بها لكان منها، ولو زال عنها لنأى عنها، فاتفاقنا على هذا أكثر من هذا الخبر على المعنى المكروه والتأويل المألوف".

الحديث التاسع عشر

روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **p** يُنزل[2] ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول: من يدعوني فأستجيب له **i** .

قلت: وقد روى حديث النزول عشرون صحابيًا، وقد سبق القول أنه يستحيل على الله عزَّ وجلَّ الحركة والنُّقلة والتغير، فيبقى الناس رجلين:

---

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده وابن جرير في (تهذيب الآثار) والطبراني في (الكبير) وأبو الشيخ في (العظمة) (جمع الجوامع للسيوطي).

(2) هذا الحديث ضبطه بعض المشايخ كما قال الحافظ ابن حجر في (الفتح) بضم الياء في **p** ينزل **i** ، وعلى تقدير الفتح فيها فإن المراد بذلك أنه ينزل سبحانه وتعالى ملكًا، أي يأمره بالنزول إلى السماء الدنيا فينادي، يثبت ذلك ما رواه النسائي في (السنن الكبرى) و(عمل اليوم والليلة) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما مرفوعًا: **p** إنَّ الله عزَّ وجلَّ يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول، ثم يأمر مناديًا ينادي يقول: هل من داعٍ يُستجاب له؟، هل من مستغفرٍ يُغفر له؟، هل من سائلٍ يُعطى؟ **i** ، وما رواه الإمام أحمد والبزار والطبراني عن سيدنا عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه مرفوعًا: **p** تفتح أبواب السماء نصف الليل، فينادي منادٍ: هل من داعٍ فيُستجاب له؟، هل من سائلٍ فيُعطى؟، هل من مكروب فيُفرَّج عنه؟، فلا يبقى مسلمٌ يدعو بدعوة إلا استجاب الله عزَّ وجلَّ له إلا زانيةً تسعى بفرجها أو عشَّارًا **i** ، وهو صحيح الإسناد، وانظر (مجمع الزوائد) وفيه: "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح".

أحدهما: المتأول له بمعنى أنه يقرِّب رحمته، وقد ذكر أشياء بالنزول فقال تعالى: [وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ](الحديد: من الآية 25)، وإن كان معدنه بالأرض، وقال تعالى: [وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ](الزمر: من الآية 6)، ومن لم يعرف كيف نزول الجَمل كيف يتكلم في تفصيل هذه الجُمل؟!.

والثاني: الساكت عن الكلام في ذلك مع اعتقاد التنزيه، روى أبو عيسى الترمذي عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وابن المبارك أنهم قالوا: "أمِرُّوا هذه الأحاديث بلا كيفٍ".

قلت: والواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النُّقلة، وأن النزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان يفتقر إلى ثلاثة أجسام: جسمٌ عالٍ وهو مكان الساكن، وجسمٌ سافلٌ، وجسمٌ ينتقل من علوٍ إلى سفلٍ، وهذا لا يجوز على الله تعالى قطعًا.

فإن قال العامي: فما الذي أراد بالنزول؟، **قيل:** أراد به معنى يليق بجلاله لا يلزمك التفتيش عنه، فإن قال: كيف حدَّث بما لا أفهمه؟، **قلنا:** قد علمت أنَّ النازل إليك قريبٌ منك، فاقتنع بالقرب ولا تظنه كقرب الأجسام.

قال ابن حامد (المجسم): "هو على العرش بذاته مماسٌ له، وينزل من مكانه الذي هو فيه فيزول وينتقل".

قلت: وهذا رجلٌ لا يعرف ما يجوز على الله تعالى.

وقال القاضي أبو يعلى (المجسم): "النزول صفة ذاتية، ولا نقول نزوله انتقال".

قلت: وهذه مغالطة، ومنهم من قال: "يتحرك إذا نزل"، ولا يدري أن الحركة لا تجوز على الخالق.

وقد حكوا عن الإمام أحمد ذلك وهو كذبٌ عليه[1]، ولو كان النزول صفة لذاته لكانت صفاته كل ليلة تتجدد[2]، وصفاته قديمة كذاته.

---

(1) حكى ذلك أبو يعلى في (طبقاته) عن أحمد بطريق أبي العباس الأصطرخي، وهو كما قال المصنف نقلٌ مفترى، وعجيب من ابن تيمية كتبه في معقوله غير منكر ما يرويه حرب ابن إسماعيل الكرماني صاحب محمد بن كرام في مسائله عن أحمد وغيره في حقه سبحانه ... يتكلم ويتحرك .. ا.هـ. ونقل أيضًا عن نقض الدارمي - ساكتًا أو مقرًّا-: "الحي القيوم يفعل ما يشاء، ويتحرك إذا شاء، ويهبط ويرتفع إذا شاء، ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس إذا شاء؛ لأن أمارة ما بين الحي والميت التحرك، وكل حي متحرك لا محالة، وكل ميت غير متحرك لا محالة" ا.هـ - أي ابن تيمية- حديث النزول، فنزل عن المنبر درجتين فقال: "كتروني هذا" فنسب إلى التجسيم ا.هـ.

(2) مما يقوله ابن حزم الظاهري في حديث النزول: "هذا إنما هو فعل يفعله الله تعالى في سماء الدنيا من الفتح لقبول الدعاء، وأن تلك الساعة من مظان القبول والإجابة والمغفرة للمجتهدين والمستغفرين والتائبين، وهذا معهود في اللغة، تقول: نزل فلان عن حقه لي بمعنى وهبه لي وتطول به علي، ومن البرهان على أنه صفة فعل لا صفة ذات أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علق التنزل المذكور بوقت محدود، وصحَّ أنه فعل محدث في ذلك الوقت مفعول حينئذ، وقد علمنا أن ما لم يزل فليس متعلقًا بزمان البتة، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض ألفاظ الحديث المذكور ما ذلك الفعل، وهو أن ذكر عليه السلام أن الله يأمر ملكًا ينادي في ذلك الوقت بذلك، وأيضًا فإن ثلث الليل مختلف في البلاد باختلاف المطالع والمغارب، يعلم ذلك ضرورة من بحث عنه، فصحَّ ضرورة أنه فعل يفعله ربنا تعالى في ذلك الوقت لأهل كل أفق، وأما من جعل ذلك نقلة فقد قدمنا بطلان قوله في إبطال القول بالجسم" ا.هـ. (ز)

الحديث العشرون

روى البخاري ومسلم في الصحيحين من أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى إلى سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إني مجهود...، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: p من يضيف هذا الليلة رحمه الله؟ i ، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به، فقال لامرأته: هل عندك شيء؟، قالت: لا إلا قوت صبياني، قال: فعلِّليهم بشيء، وإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنَّا نأكل، فقعدوا وأكل الضيف، فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: p لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة i .

وفي أفراد البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: p عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل i .

قال العلماء: العجب إنما يكون من شيء يدهم الإنسان مما لا يعلمه فيستعظمه وهذا لا يليق بالخالق سبحانه، لكن معناه: عظم قدر ذلك الشيء عند الله؛ لأن المتعجب من شيء يعظم قدره عنده، ومعنى p في السلاسل i : أُكرهوا على الطاعة التي بها يدخلون الجنة، وقال ابن الأنباري: "معنى p عجب ربك i : زادهم إنعامًا وإحسانًا، فعبَّر بعجب عن هذا".

وقال ابن عقيل: "العجب في الأصل: استغراب الشيء، وذلك يكون من عِلْمِ ما لم يُعْلَم، وإلا فكل شيء أنِس به لا يُتصور العجب منه، فإن الإنسان إذا رأى حجر المغناطيس يجذب الحديد و لم يكن رآه قبل ذلك عجب، والباري سبحانه لا يعزب عن علمه شيء، فأين العجب منه؟!، فلم يبقى للحديث معنى إلا أن يكون فعل شيءٍ أعجبه فعله، وكذلك الضحك لا يصدر إلا عن راضٍ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: p لله أفرح بتوبة عبده i ، أي: رضي، ومنه قوله تعالى: [كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ](المؤمنون: من الآية 53)، أي: راضون.

وقال القاضي أبو يعلى (المجسم): "لا نثبت عجبًا هو تعظيم الأمر، بل نثبت ذلك صفة".

قلت: وهذا ليس بشيء.

الحديث الحادي والعشرون

روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: p لله أشد فرحًا بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها i .

قلت: مَن كان مسرورًا بشيء راضيًا به قيل له: فرح، والمراد: الرضا بتوبة التائب، ولا يجوز أن يعتقد في الله تعالى التأثر الذي يوجد في المخلوقين، فإن صفات الحقِّ قديمة فلا تحدث له صفة.

الحديث الثاني والعشرون

روى مسلم في أفراده من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخمس كلمات فقال: **p** إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه ...، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إلى بصره من خلقه **i** [1].

قلت: معنى **p** يخفض القسط ويرفعه **i** : أي يخفض بعدلٍ ويرفع بعدل.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: **p** حجابه النور **i** : ينبغي أن يعلم أن هذا الحجاب للخلق عنه؛ لأنه لا يجوز أن يكون محجوبًا؛ لأن الحجاب يكون أكبر مما يستره، ويستحيل أن يكون جسمًا أو جوهرًا أو متناهيًا محاذيًا إذ جميع ذلك من أمارات الحدث، وإنما عرف الناس حدوث الأجسام من حيث وجودها متناهيةً محدودةً محلاً للحوادث، وكما أنه لا يجوز أن يكون لوجوده ابتداء ولا انتهاء لا يصحُّ أن يكون لذاته انتهاء، وإنما المراد أن الخلق محجوبون عنه كما قال سبحانه وتعالى: **[** كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ **]**(المطففين:15)، وقد روى سهل بن سعدٍ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **p** دون الله سبعون ألف حجابٍ من نورٍ وظلمة **i** .

قلت: وهذا حديثٌ لا يصح، ولو كان صحيحًا كانت الحجب للخلق لا للحق، وأما السُّبُحات فجمع سُبُحة، قال أبو عبيدة: "لم نسمع هذا إلا في هذا الحديث"، قال: ويقول إن السبحة جلال وجهه، ومنه قوله: "سبحان الله" وإنما هو تعظيم له وتنزيه.

وقال ابن خزيمة: "باب صفة وجه ربنا"، ثم ذكر حديث السُّبُحات متوهمًا النور المعروف، والخالق متنزِّهٌ عن النور الجسماني.

وروى أبو بكرٍ الخلال في كتاب (السنة) قال: "سألت أحمد بن يحيى عن قوله صلى الله عليه وآله وسلم: **p** لأحرقت سُبُحات وجهه **i** ، فقال: السُّبُحات: الموضع الذي يسجد عليه"، **قلت:** فعلى هذا يكون الخطاب بما يعرفون كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: **p** قلوب العباد بين إصبعين **i** .

وقال القاضي أبو يعلى (المجسم): "لا يمنع إطلاق حجاب من دون الله تعالى لا على وجه الحد والمحاذاة".

قلت: وهذا كلام مختلط لا ترضى به العوام.

---

(1) يقول النووي في (شرح صحيح مسلم): "والتقدير: لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نورًا أو نارًا وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته". (ز)

الحديث الثالث والعشرون

روى ابن عباس رضي الله عنهما عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: p أهل الجنة يرون ربهم تعالى في كل جمعة في رمال الكافور، وأقربهم منه مجلسًا أسرعهم إليه يوم الجمعة i .

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: p في رمال الكافور i إشارة إلى الحاضرين، ثم p في رمال الكافور، وأقربهم منه i أي أحظاهم عنده.

وفي حديث آخر: p المقسطون يوم القيامة على منابر من نور على يمين الرحمن i ، وقال بعضهم: p يمين العرش i ، وفي حديث سوق الجنة: p فلا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة i ويروى: p خاصره i بالخاء المعجمة، ومثل هذا لا يثبت، والمخاصرة: المصافحة.

وقال القاضي أبو يعلى (المجسم): "لا يمتنع أن يكون الحقُّ تعالى في رمال الكافور"، **قلت**: فقد أقرَّ بالحصر، ثم قال: "لا على وجه الانتقال"، وهذا تلاعب، ثم قال: "ولا يمتنع قربهم من الذات"، وهذا يضيع معه الحديث، واستدل بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: p ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربه i ، وقال: "الخلوة عبارة عن القرب، ويجوز القرب من الذات"، **قلت**: وقد سبق ردُّ هذا.

الحديث الرابع والعشرون

روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رجلٌ من اليهود إِلَى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فَقَالَ: "يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يضع السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ والأنهار عَلَى إِصْبَعٍ - وفي لفظ: الْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ-، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ"، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ وقَالَ: p [وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ] i (الزمر: من الآية 67)، وفي بعض الألفاظ: p فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعجبًا وتصديقًا له i .

قال أبو سليمان الخطَّابي: "لا تثبت لله صفةٌ إلا بالكتاب أو خبرٍ مقطوعٍ بصحته يستند إلى أصلٍ في الكتاب أو في السنة المقطوع بصحتها، وما بخلاف ذلك فالواجب التوقف عن إطلاق ذلك، ويتأول على ما يليق بمعاني الأصول المتفق عليها من أقوال أهل العلم من نفي التشبيه"، قال: "وذكر الأصابع لم يوجد في الكتاب ولا في السنة التي شرطُها في الثبوت ما وصفنا، فليس معنى اليد في الصفات معنى اليد حتى يتوهم بثبوتها ثبوت الأصابع، بل هو توقيفٌ شرعيٌّ أطلقنا الاسم فيه على ما جاء به الكتاب من غير تكييف ولا تشبيه".

قلت: ظاهر ضحك سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإنكار[1]، واليهود مُشبِّهة، ونزول الآية دليل على إنكار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال ابن عقيل: [مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ] حيث جعلوا صفاته تتساعد وتتعاضد على حمل مخلوقاته، وإنما ذكر الشرك في الآية ردًا عليهم.

وفي معنى هذا الحديث قوله صلى الله عليه وآله وسلم: p إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء i ، ولما كان القلب بين إصبعين ذليلاً مقهورًا دلَّ بهذا على أن القلوب مقهورة لمقلِّبها.

وقال القاضي أبو يعلى (المجسم): "غير ممتنع حمل الخبر على ظاهره في الإثبات، والإصبع صفة راجعة إلى الذات؛ لأنا لا نثبت أصابع هي جارحة ولا أبعاضًا".

قلت: وهذا كلام مخبِّط؛ لأنه إما أن يثبت جوارح وإما أن يتأولها، فأما حملها على ظواهرها فظواهرها الجوارح، ثم يقول: "ليست أبعاضًا"، فهذا كلام قائم قاعد ويضيع الخطاب لمن يقول هذا.

الحديث الخامس والعشرون

روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: p يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟، ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضَ بِشِمَالِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ... i [2]، هكذا رواه مسلم وهي أتم الروايات.

قلت: وقد ثبت بالدليل القاطع أن يد الحقِّ سبحانه وتعالى ليست بجارحة، وإن قبضه للأشياء ليس مباشرة، ولا له كف، وإنما قرَّب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأفهام ما يدركه الحس، فقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصابعه وبسطها، فوقوع الشبه بين القبضتين من حيث ملكه المقبوض كما وقع الشبه في رؤية الحقِّ سبحانه برؤية القمر في إيضاح الرؤية لا في تشبيه المرئي، فأما لفظ "الشمال" فهي في رواية مسلم وهي مما انفرد به عن عمر بن حمزة عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما، وقد روى الحديث نافع وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما فلم يذكروا لفظة "الشمال"، ورواه أبو هريرة رضي الله عنه وغيره عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يذكر أحدٌ منهم فيه "الشمال"، وقد روي ذكر "الشمال" في حديث آخر في غير هذه القصة إلا أنه ضعيفٌ بالمرة ورواه بعض

(1) يستبعد ابن خزيمة - وهو من وقع في خطأ التشبيه – أن يكون ضحك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إنكارًا، وقد نقض الحافظ ابن حجر زعمه هذا في (الفتح). (ز)

(2) في الذي بين أيدينا من نسخ صحيح مسلم زيادة: p ثم يطوي الأرضين بشماله i . (ز)

المتروكين، وقد صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: p وكلتا يديه يمين مباركة i [1]، وهذا يوهن ذكر الشمال، وقال أبو بكر البيهقي: "وكأن الذي ذكر الشمال رواه على العادة بأن الشمال يقابل اليمين".

قال القاضي أبو يعلى (المجسم): "غير مستحيل إضافة القبض والبسط إلى ذاته".

قلت: وقد سبق إنكار هذا.

الحديث السادس والعشرون

روى الإمام أحمد رحمه الله في مسنده من حديث أَنَسٍ رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: [فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ](الأعراف: من الآية 143)، قَالَ: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: p هَكَذَا، يَعْنِي أَنَّهُ أَخْرَجَ طَرَفَ الْخِنْصَرِ i ، فقال حميد الطويل لثابت: "ما تريد إلى هذا يا أبا محمد"، قال: "فضرب صدره ضربة شديدة"، فقال: "من أنت يا حميد، وما أنت يا حميد"، فحدثني به أنس بن مالك رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي لفظ: p فأومأ بخِنْصَره فساخ الجبل، وخرَّ موسى صعقًا i ، وروى ابن حامد (المجسم): [فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ] قال: "خرج منه أول مفصل من خنصره".

قلت: هذا الحديث تكلم فيه علماء الحديث وقالوا: لم يروه عن ثابت غير حماد بن سلمة، وكان ابن أبي العوجاء الزنديق قد أدخل على حماد أشياء فرواها في آخر عمره، ولذلك تجافى أصحاب الصحيح الإخراج عنه، ومخرج الحديث سهل، وذلك أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرِّبُ إلى الأفهام بذكر الحسيات، فوضع يده على خنصره إشارة إلى أن الله تعالى أظهر اليسير من آياته.

قال ابن عقيل: "كشف من أنواره التي يملكها بقدر طرف الْخِنْصَرِ، وهذا تقديرٌ لنا بحسب ما نفهم من القلة، لا نحكم أنه يتقدر، فإن قيل: كيف أنكر حميدٌ على ثابت؟، قلنا: يُحتمل أن يكون توهم أن هذا يرجع إلى الصفات".

وقد أثبت القاضي أبو يعلى (المجسم) لله سبحانه خِنْصَرًا بهذا الحديث المعلول.

الحديث السابع والعشرون

روى القاضي أبو يعلى (المجسم) عن عكرمة أنه قال: "إذا أراد الله عزَّ وجلَّ أن يخوف عباده أبدى عن بعضه إلى الأرض، فعند ذلك تتزلزل، وإذا أراد أن يدمدم على قوم تجلى لها".

---

(1) يقول القتيبي عند الكلام على هذا الحديث: "إنما أراد بذلك معنى التمام والكمال؛ لأن كل شيء مياسره تنقص عن ميامنه في القوة والبطش والتمام، وكانت العرب تحب التيامن وتكره التياسر لما في اليمين من التمام وفي اليسار من النقص، ويجوز أن يريد العطاء باليدين جميعًا؛ لأن اليمنى هي المعطية، فإذا كانت اليدان يمينين كان العطاء بهما، وإلى هذا ذهب المرار حين قال:

وأن على الإوانة من عقيل ... في كلتا اليدين له يمين (ز)

قال القاضي أبو يعلى (المجسم): "أبدى عن بعضه"، هو على ظاهره، وهو راجع إلى الذات على وجه لا يفضي إلى التبعيض.

قلت: ومن يقول: "أبدى عن بعض ذاته"، و"ما هو بعضٌ" لا يُكَلّم، ثم إثبات البعض بكلام تابعيٍّ لو صحَّ يخالف إجماع المسلمين، فإنهم أجمعوا أن الخالق لا يتبعض، وإنما المراد أبدى عن آياته.

الحديث الثامن والعشرون

روى أبو الأحوص الجشمي عن أبيه رضي الله عنهما أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له: "لعلك تأخذ موساك فتقطع أذن بعضها فتقول هذه بحر، وتشق أذن الأخرى وتقول حرم؟ ..."، قال: نعم، قال صلى الله عليه وآله وسلم: "فلا تفعل، فإن موسى الله تعالى أحدٌّ من موساك، وساعد الله تعالى أشد من ساعدك".

قال القاضي أبو يعلى (المجسم): "لا يمتنع حمل الخبر على ظاهره في إثبات الساعد صفة لذاته".

قلت: وهذا منه غفلة عاميةٌ وخروج عن مقتضى الفهم، وكان ينبغي أن يثبت الموسى!!!، **قلت:** إثبات صفة الله بهذا الخبر الذي لا يكاد يثبت، مع الإعراض عن فهم خطاب العرب وأنها تريد بمثل هذا التجوزَ والاستعارةَ قبيحٌ جدًا، والمراد بالساعد: القوة؛ لأن قوة الإنسان في ساعده.

الحديث التاسع والعشرون

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **p** إن العبد إذا قام إلى الصلاة فإنه بين عيني الرحمن **i** .

قلت: قد ذكرنا صفة العين في الآيات المذكورة قبل الأحاديث، والمراد بالحديث أن الله تعالى يشاهد المصلي فليتأدب، وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: **p** فإن الله قِبَلَ وجهه **i** ، أي أنه يراه.

الحديث الثلاثون

روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل عليها وعندها امرأة فقال صلى الله عليه وآله وسلم: **p** من هذه؟ **i** ، قالت: "فلانة تذكر من صلاتها"، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: **p** مَه، عليكم ما تطيقون، فوالله لا يملُّ الله حتى تملوا **i** ، وفي لفظ: **p** لا يسأم الله حتى تسأموا **i** .

قال العلماء: معنى الحديث: لا يملُّ الله تعالى وإن مللتم كما قال الشاعر:

صليت مني هُذيلٌ بخرقٍ لا يملُّ الشرَّ حتى يملوا

المعنى: لا يملُّ وإن ملوا، وإلا لم يكن له فضلٌ عليهم، وقال قومٌ: من ملَّ من شيء تركه، والمعنى: لا يترك الثواب ما لم يتركوا العمل، وأما الملل الذي هو كراهة الشيء والاستثقال له ونفور النفس عنه والسآمة منه فمحالٌ في حقه تعالى؛ لأنه يقتضي تغيُّره وحلول الحوادث.

وقال القاضي أبو يعلى (المجسم): "لا يمتنع إطلاق الملل عليه لا بمعنى السآمة".

قلت: وهذا بعيدٌ عن معرفة اللغة وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه.

الحديث الحادي والثلاثون

روت خولة بنت حكيم رضي الله عنها عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **p** آخرُ وطأة وطئها الرحمن بِوَجٍ **i** .

ووَجٌ: وادٍ بالطائف وهي آخر وقعة أوقعها الله تعالى بالمشركين على يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: **p** اللهم اشدد وطأتك على مضر **i** ، والوطأة مأخوذة من القَدَم وإلى هذا ذهب ابن قتيبة وغيره، وقال سفيان بن عيينة في تفسير هذا الحديث: "آخر غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالطائف".

وقال القاضي أبو يعلى (المجسم): "غير ممتنع على أصولنا حمل هذا الخبر على ظاهره، وإن ذلك المعنى بالذات دون الفعل؛ لأنّا حملنا قوله: "يترل، ويضع قدمه في النار" على الذات.

قلت: وهذا الرجل يشير بأصولهم إلى ما يوجب التجسيم والانتقال والحركة، وهذا مع التشبيه بعيد عن اللغة ومعرفة التواريخ وأدلة العقول، وإنما اغتر بحديث روي عن كعب أنه قال: "ووجّ مقدس، منه عرج الربُّ إلى السماء ثم قضى خلق الأرض"، وهذا لو صحَّ عن كعب احتمل أن يكون حاكيًا عن أهل الكتاب، وكان يحكي عنهم كثيرًا، ولو قدرناه من قوله كان معناه: أن ذلك المكان آخر ما استوى من الأرض لما خلقت، ثم "عرج الربُّ" أي عمد إلى خلق السماء وهو قوله تعالى: [ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ](فصلت: من الآية 11)، ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : "لما أُسري بي مرَّ بي جبريل عليه الصلاة والسلام حتى أتى بي إلى الصخرة فقال: يا محمد من ها هنا عرج ربك إلى السماء".

قلت: وهذا يرويه بكر بن زياد وكان يضع الحديث على الثقات، فإن قيل: قال ابن عباس رضي الله عنهما [اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ]: صعد، **قلنا:** صعد أمره، إذ لا يجوز عليه الانتقال والتغير.

واعلم أن الناس في أخبار الصفات على ثلاث مراتب:

إحداها: إمرارها على ما جاءت من غير تفسير ولا تأويل إلا أن تقع ضرورة كقوله تعالى: **[** وَجَاءَ رَبُّكَ **]** (الفجر: من الآية 22)، أي جاء أمره، وهذا مذهب السلف.

المرتبة الثانية: التأويل، وهو مقامٌ خطر على ما سبق بيانه[1].

---

(1) يقول في (شرح المشكاة): "قال النووي في (شرح مسلم): "هذا الحديث - حديث النزول- من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء سبق إيضاحهما في كتاب الإيمان ومختصرهما أن أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين: أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق، والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكيٌّ هنا عن مالك والأوزاعي: أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها، فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين"-أي المذكورين-، وبكلامه وبكلام الشيخ الرباني أبي إسحاق الشيرازي وإمام الحرمين والغزالي وغيرهم من أئمتنا وغيرهم يعلم أن المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر كالمجيء والصورة والشخص والرجل والقدم واليد والوجه والغضب والرحمة والاستواء على العرش والكون في السماء وغير ذلك عما يُفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان تستلزم أشياء يُحكم بكفرها بالإجماع، فاضطر جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره، وإنما اختلفوا هل نصرفه عن ظاهره معتقدين اتصافه سبحانه بما يليق بجلاله وعظمته من غير أن نؤوله بشيء آخر وهو مذهب أكثر أهل الخلف وهو تأويل تفصيل، ولم يريدوا بذلك مخالفة السلف الصالح، معاذ الله أن يظن بهم ذلك، وإنما دعت الضرورة في أزمنتهم لذلك لكثرة المجسمة والجهمية وغيرهما من فرق الضلال واستيلائهم على عقول العامة، فقصدوا بذلك ردعهم وبطلان قولهم ومن ثمت اعتذر كثير منهم وقالوا: لو كنا على ما كان عليه السلف الصالح من صفاء العقائد وعدم المبطلين في زمنهم لم نخض في تأويل شيء من ذلك، وقد علمت أن مالكًا والأوزاعي وهما من كبار السلف أوَّلا الحديث تأويلاً تفصيليًّا، وكذلك سفيان الثوري أوَّل الاستواء على العرش بقصد أمره، ونظيره **[** ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ **]**(البقرة: من الآية 29)، أي: قصد إليها، ومنهم الإمام جعفر الصادق عليه السلام، بل قال جمع منهم ومن الخلف: أن معتقد الجهة كافر كما صرح به العراقي وقال أنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني، وقد اتفق سائر الفرق على تأويل نحو: **[** وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ **]** (الحديد: من الآية 4)، **[** مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ ... الآية **]**(المجادلة: من الآية 7)، **[** فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ **]**(البقرة: من الآية 115)، **[** وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ **]**(قّ: من الآية 16)، و **p** قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن **i** و **p** الحجر الأسود يمين الله في الأرض **i** وهذا الاتفاق يبين لك صحة ما اختاره المحققون أن الوقف على **[** الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ **]**(آل عمران: من الآية 7) لا الجلالة"، قلت: الجمهور على أن الوقف على **[** إِلا اللَّهُ **]** وعدوا وقفه وقفًا لازمًا وهو الظاهر؛ لأن المراد بالتأويل معناه الذي أراده تعالى وهو في الحقيقة لا يعلمه إلى الله جل جلاله ولا إله غيره، وكل من تكلم فيه تكلم بحسب ما ظهر له، ولم يقدر أحد أن يقول إن هذا التأويل هو مراد الله جزمًا، ففي التحقيق الخلاف لفظي، ولهذا اختار كثيرون من محققي المتأخرين عدم تعيين التأويل في شيء معين من الأشياء التي تليق باللفظ ويكلون تعيين المراد بها إلى علمه تعالى، وهذا توسط بين المذهبين وتلذذ بين المشربين، واختار ابن دقيق العيد توسطًا آخر فقال: "إن كان التأويل من المجاز البين الشائع سلوكه من غير توقف أو من المجاز البعيد الشاذ فالحق تركه، وإن استوى الأمران فالاختلاف في جوازه وعدمه مسألة فقهية اجتهادية والأمر فيها ليس بالخطر بالنسبة للفريقين"، قلت: التوقف فيها لعدم ترجيح أحد الجانبين مع أن التوقف مؤيد بقول السلف ومنهم الإمام الأعظم ا.هـ.

ويقول في (شرح المشكاة) أيضًا: "والحاصل أن السلف والخلف مؤولون لإجماعهم على صرف اللفظ عن ظاهره، ولكن تأويل السلف إجمالي لتفويضهم إلى الله تعالى، وتأويل الخلف تفصيلي لاضطرارهم إليه لكثرة المبتدعين" ا.هـ.

وفي (إشارة النبيه في كشف شبه أهل التشبيه إملاء الشيخ نجم الدين أبي الفتح نصر الله ابن العز بن سعد الله بن نجم الكاتب البغدادي): "وقد تأول العلماء والأدباء والشعراء قديمًا وحديثًا ولذلك قول بعضهم:

أقول بالخد حال حين أذكره ... خوف الرقيب وما بالخد من خال

أبكي إلى الشرق إن كانت منازلهم ... بجانب الغرب خوف القيل والقال

ومن قال: "لا أقول بالتأويل ولا أُشبِّه" فقد تأول؛ لأنه إذا عدل عن معنى النزول عنده ومعنى اليمين في حديث: **p** الحجر الأسود يمين الله في الأرض **i** إلى غير ذلك فقد تأول، فلا محيص لكم عن التأويل بحال" ا.هـ.

والمرتبة الثالثة: القول فيها بمقتضى الحس، وقد عمَّ جهلةَ الناقلين، إذ ليس لهم حظٌّ من علوم المعقولات التي بها يعرف ما يجوز على الله تعالى وما يستحيل، فإن علم المعقولات يصرف ظواهر المنقولات عن التشبيه، فإذا عدموها تصرفوا في النقل بمقتضى الحس، وإليه أشار القاضي أبو يعلى (المجسم) بقوله: "لا يمتنع أن تحمل الوطأة التي وطئها الحقُّ على أصولنا وأنه معنى يتعلق بالذات".

قلت: وأصولهم على زعمه ترجع إلى الحسِّ، ولو فهموا أن الله تعالى لا يوصف بحركة ولا انتقال ولا تغير ما بنوا على الحسيات، والعجب أن يقِر بهذا القول ثم يقول: "من غير نقلة ولا حركة" فينقض ما يبني، ومن أعجب ما رأيت لهم ما أنبأنا أبو العز أحمد بن عبيد الله بن كادش قال: أنبأنا أبو طالب العُشَاري قال: أنبأنا البنا قال: أنبأنا أبو الفتح ابن أبي الفوارس قال: أنبأنا أبو علي ابن الصواف قال: أنبأنا أبو جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة أنه قال في كتاب العرش: "إن الله تعالى قد أخبرنا أنه صار من الأرض إلى السماء ومن السماء إلى العرش فاستوى على العرش".

قلت: ونحن نحمد الله إذ لم يبخس حظنا من المنقولات ولا من المعقولات، ونبرأ من أقوام شانوا مذهبنا فعاب الناس كلامهم.

الحديث الثاني والثلاثون

روى أبو أمامة رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **p** مَا تَقَرَّبَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمِثْلِ مَا خَرَجَ مِنْهُ وهو القرآن **i** [1]، وفي حديث عثمان رضي الله عنه أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **p** فضيلة القرآن على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه، إن القرآن منه خرج وإليه يعود **i** .

قلت: والمعنى إنه وصل إلينا من عنده وإليه يعود فيرفع.

ويقول العلامة الآلوسي في (تفسيره) عند الكلام على الوجه: "والتأويل القريب إلى الذهن الشائع نظيره في كلام العرب مما لا بأس به عندي، على أن بعض الآيات مما أجمع على تأويلها السلف والخلف والله تعالى أعلم بمراده" ا.هـ، وقال أيضًا: "وأنا أميل إلى التأويل وعدم القول بالظواهر مع نفي اللوازم في بعض ما ينسب إلى الله مثل قوله تعالى: **[** سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ **]**(الرحمن:31)، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: **p** الحجر الأسود يمين الله في أرضه، فمن قبله أو صافحه فكأنما صافح الله تعالى وقبل يمينه **i** فأجعل الكلام فيه خارجًا مخرج التشبيه لظهور القرينة، ولا أقول: الحجر الأسود من صفاته كما قال السلف في اليمين" ا.هـ.

وقد عقد ابن المعلم في كتابه (نجم المهتدي ورجم المعتدي) بابًا سرد فيه جماهير المؤولين - فيما يظهر فيه وجه الكلام- من الصحابة والتابعين وغيرهم. (ز)

(1) الذي في (الجامع الكبير) للسيوطي: **p** ما تقرب العباد إلى الله بشيء أحب إليه مما خرج منه **i** (ابن السني عن زيد بن أرطأ عن أبي أمامة).

الحديث الثالث والثلاثون

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: p إن الله تعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألف سنة، فلما سمعت الملائكة القرآن قالوا: طوبى لأمة ينزل عليهم، وطوبى لأجواف تحمل هذا، وطوبى لألسن تتكلم بهذا i .

وهذا حديث موضوع يرويه إبراهيم بن مهاجر عن عمر بن حفص، وأما عمر بن حفص فقال أحمد بن حنبل: "حرقنا حديثه"، وقال يحيى بن معين: "ليس بشيء"، وقال أبو حاتم بن حبان الحافظ: "وهذا متن موضوع".

الحديث الرابع والثلاثون

روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: p إِنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهم قامت الرَّحِمُ فقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنْ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ i [1]، وفي لفظ أخرجه البخاري أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: p إن الرحم شِجْنَةٌ من الرحمن i .

قال أبو عبيدة: الشِجْنَة كالغصن من الشجرة، ومعنى شِجْنَة: أي قرابة مشتبكة كاشتباك العروق، والشجر تشجن إذا التف بعضها ببعض.

قلت: ولا يخلو هذا الحديث من أحد أمرين: إما أن يراد أن الله تعالى يراعي الرحم فيصل من وصلها ويقطع من قطعها ويأخذ لها حقها كما يراعي القريب قرابته، كأنه يزيد في المراعاة على الأجانب، أو أن يراد أن الرحم بعض حروف الرحمن، فكأنه عظم قدرها بهذا الاسم، ويؤيد هذا حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: p قال الله تعالى: أنا الله وأنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها اسمًا من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته i ، أو قال: p بتته i ، وقد روي هذا الحديث بلفظ لم يخرَّج في الصحاح: p الرحم شجنة من الرحمن، تعلقت بِحِقْوَي الرحمن تقول: اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني i ، وفي لفظ: p الرحم شجنة آخذة بحقو الرحمن i ، وفي لفظ: p لما خلق الله الخلق قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطعية i .

(1) في (شرح صحيح مسلم) للإمام النووي: "قال القاضي عياض: الرحم التي توصل وتقطع وتبر إنما هي معنى من المعاني ليست بجسم وإنما هي قرابة ونسب تجمعه رحم والدة ويتصل بعضه ببعض فسمي ذلك الاتصال رحمًا، والمعنى لا يتأتى منه القيام ولا الكلام، فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب في استعمال ذلك، والمراد تعظيم شأنها وفضيلة وأصليها وعظيم إثم قاطعيها بعقوقهم". (ز)

قلت: وهذه أمثال كلها ترجع إلى ما بيَّنَّا، ومعنى تعلقها بحقو الرحمن الاستجارة والاعتصام[1].

وفي (صحيح مسلم) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **p** الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله **i** .

قال أبو بكر البيهقي: "الحِقْوُ الإزار، والمعنى يتعلق بعزه".

قال ابن حامد (المجسم): "يجب التصديق بأن لله تعالى حقوًا، فتأخذ الرحم بحقوه"، قال: "وكذلك نؤمن بأن لله جنبًا لقوله تعالى: **[** عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ **]**(الزمر: من الآية 56).

قلت: وهذا لا فهم له أصلاً، كيف يقع التفريط في جنب الذات؟!!.

قال ابن حامد (المجسم): "والمراد بالتعلق القرب والمماسة بالحقو، كما روي أن الله تعالى يدني إليه داود حتى يمس بعضه".

قلت: قد طمَّ القاضي أبو يعلى (المجسم) على هذا فقال: "لا على وجه الجارحة والتبعيض، والرحم أخذه بها لا على وجه الجارحة والتبعيض، والرحم أخذه بها لا على وجه الاتصال والمماسة"، ثم نقض هذا التخليط وقال: "في الخبر إضمار تقديره: ذو الرحم يأخذ بحقو الرحمن"، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، قال: "لأن الرحم لا يصحُّ عليها التعلق، فالمراد: ذو الرحم يتعلق بالحقو".

قلت: فقد زاد على التشبيه التجسيمَ، والكلام مع هؤلاء ضائعٌ كما يقال: لا عقل ولا قرآن، وإذا تعلق ذو الرحم فبماذا يتعلق؟، نعوذ بالله من سوء الفهم.

الحديث الخامس والثلاثون

روى مسلم في صحيحه[2] أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **p** يقول الله عزَّ وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني في شيء منهما عذبته **i** .

قال أبو سليمان الخطَّابي: "معنى الكلام: إن الكبرياء والعظمة صفتان لله تعالى اختص بهما، لا يشاركه فيهما أحد ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما؛ لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل، وضرب الإزار والرداء مثلاً، يقول - والله أعلم-: كما لا يشارك الإنسان في ردائه وإزاره أحدٌ كذلك لا يشاركني في الكبرياء والعظمة مخلوق".

---

(1) قال في (النهاية): "والحِقْوُ فيه مجاز وتمثيل، ومنه قولهم: عذت بحِقْوُ فلان إذا استجرت به واعتصمت" ا.هـ، وفي (أساس البلاغة): "لاذ بحقويه إذا فزع إليه".

(2) يقول العجلوني في (كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس): "رواه مسلم وابن حبان وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه والحاكم بألفاظ متقاربة، وممن أخرجه بلفظ الترجمة القضاعي عن أبي هريرة رضي الله عنه والحكيم الترمذي عن أنس رضي الله عنه" ا.هـ، ولم يذكر البخاري فليحرر.

الحديث السادس والثلاثون

روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن سيدنا ومولانا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قال: p يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي، وَأَنَا مَعَهُ حيث ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا اقْتَربْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً i .

قلت: ذهب القاضي أبو يعلى (المجسم) إلى أن لله نفسًا هي صفة زائدة على الذات.

وهذا قول مبتدع بنوع التشبيه؛ لأنه لا يفرق بين الذات والنفس، وما المانع أن يكون المعنى: ذكرته أنا، وقد سبق هذا في الكلام على الآيات، والتقرُّب والهرولة توسع في الكلام[1] كقوله تعالى: [سَعَوْا فِي آيَاتِنَا](الحج: من الآية 51) لا يراد به المشي.

الحديث السابع والثلاثون

روى أبو سعيد رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: p إن الله جميلٌ يحب الجمال i [2].

قال العلماء: "الجميل: المُجْمِل بتحسين الصور والأخلاق والإحسان"، والذي أراه أن الجميل الذي أوصافه تامة مستحسنة.

وقد فسره القاضي أبو يعلى (المجسم) بما لا يليق بالحق سبحانه فقال: "غير ممتنع وصفه بالجمال وإن ذلك صفة راجعة إلى الذات؛ لأن الجمال في معنى الحسن"، قال: "وقد تقدم قوله ... "رأيت ربي في أحسن صورة"".

قلت: وهذا تشبيهٌ محض.

الحديث الثامن والثلاثون

روى القاضي أبو يعلى (المجسم) عن عمر بن عبد العزيز: "إذا فرغ الله من أهل الجنة والنار أقبل يمشي في ظلل من الغمام والملائكة، فيقف على أول درجة فيسلم عليهم فيردون عليه السلام، فيقول: سلوني، فيقولون: وماذا نسألك؟، وعزتك وجلالك وارتفاعك في مكانك لو أنك قسمت علينا رزق الثقلين لأطعمناهم وأسقيناهم و لم ينقص ما عندنا،

---

(1) في تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة عند الكلام على التقرب والهرولة: "ونحن نقول: إن هذا تمثيل وتشبيه، وإنما أراد: من أتاني مسرعًا بالطاعة أتيته بالثواب أسرع من إتيانه".

(2) أثبت العجلوني في (كشف الخفاء ومزيل الإلباس) هذا الحديث وقال: "رواه أحمد عن أبي ريحانة رضي الله عنه، ومسلم والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه، وأبو يعلى والبيهقي عن أبي سعيد رضي الله عنه، والطبراني عن أبي أمامة وابن عمر وجابر رضي الله عنهم، وابن عدي في (الكامل) عن ابن عمر رضي الله عنه".

فيقول: بلى سلوني، فيقولون: نسألك رضاك، فيقول: رضاي أحللكم دار كرامتي، فيفعل هذا بأهل كل درجة حتى ينتهي إلى مجلسه".

قلت: هذا حديث مكذوب به على عمر بن عبد العزيز، وبعد كيف يُثبت لله صفة بقول عمر بن عبد العزيز؟!!.

قال ابن حامد (المجسم): "يأتي يوم القيامة إلى المحشر لقوله تعالى: [يَأْتِيَ رَبُّكَ](الأنعام: من الآية 158) وقت نزوله إلى السماء".

وقال القاضي أبو يعلى (المجسم): "الآية تشهد لحديث عمر، وهي قوله تعالى: [يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ] (البقرة: من الآية 210).

قلت: ولا يدري أن المعني: يأتيهم الله بظلل.

قال ابن حامد (المجسم): "ولا يمتنع إمراره على ظاهره؛ لأنه لا بد من مشيه وانتهائه إلى مجلسه لا عن انتقال".

قلت: من يقول: "يُحمَل هذا على ظاهره"، كيف يقول: "بلا انتقال"، وإنما يقول هذا إرضاءً للجهال، وهل المشي إلا انتقال.

الحديث التاسع والثلاثون

روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن المقام المحمود، قال صلى الله عليه وآله وسلم: **p** وعدني ربي بالقعود على العرش **i** .

قلت: هذا حديثٌ مكذوب لا يصحُّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال ابن حامد (المجسم): "يجب الإيمان بما ورد من المماسة والقرب من الحقِّ لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم في إقعاده على العرش"، قال: "وقال ابن عمر رضي الله عنهما [وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى](صّ: من الآية 25)، قال: ذكر الله الدنو منه حتى يمس بعضه".

قلت: وهذا كذب على ابن عمر رضي الله عنهما، ومن ذكر تبعيض الذات كفر بالإجماع.

قال القاضي أبو يعلى (المجسم): "يُقعد نبيه على عرشه بمعنى: يدنيه من ذاته ويقربه منها، ويشهد له قوله: [فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَ](النجم:9)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "كان بينه وبينه مقدار قوسين"".

قلت: هذا عن جبريل عليه السلام لا عن الله سبحانه، ومن أجاز القرب من الذات أجاز الملاصقة، وما ذهب إليه القاضي أبو يعلى صريحٌ في التجسيم.

الحديث الأربعون

روى الدارقطني من حديث أبي إسحاق عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضي الله عنه أن امرأة جاءت إلى سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة، فعظَّم الربَّ عزَّ وجلَّ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: p إن كرسيه وسع السموات والأرض، وإن له أطيطًا كأطيط الرحل الجديد إذا ركب من ثقله i .

هذا حديث مختلف جدًا، فتارةً يروى عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتارةً عن عمر رضي الله عنه موقوفًا عليه، وقد رواه أبو إسحاق عن ابن خليفة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "إذا جلس تبارك وتعالى على الكرسي سُمع له أطيط كأطيط الرحل"، ورواه ابن جرير عن عبد الله بن خليفة قال: قال سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: p إن كرسيه وسع السموات والأرض وإنه ليقعد عليه فما يفضل منه مقدار أربع أصابع ثم قال بأصبعه فجمعها، وإن له أطيطًا كأطيط الرحل إذا ركب من ثقله i .

وروى أبو بكر المروزي أن ابن خليفة قال: قال سيدنا مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: p الكرسي الذي يجلس عليه الربُّ ما يفضل منه إلا مقدار أربعة أصابع i .

قلت: هذا على ضد اللفظ الأول، وكل ذلك من تخليط الرواة وسوء الحفظ، والأليق p فما يفضل منه مقدار أربع أصابع i ، والمعنى أنه قد ملأه بهيبته وعظمته، ويكون هذا ضرب مثل يقرِّب عظمة الخالق جلَّ جلاله، وقول الرواة: "إذ قعد" و"إذا جلس" من تغييرهم أو من تعبيرهم بما يظنونه من المعنى، كما قال القائل: [ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ] قعد، وإنما قلنا هذا لأن الخالق سبحانه وتعالى لا يجوز أن يوصف بالجلوس على شيء فيفضل من ذلك الشيء؛ لأن هذه صفة الأجسام.

وقال ابن الزاغوني (المجسم): "معنى الحديث: خرج عن صفة الاستواء أربعة أصابع".

قلت: وهذا قد قصد به مغالطة العوام!!، وهل لما قاله معنى؟!! إلا أن يقال إن هذه الأربعة لم تحاذِ ولم تماس، وكل هذا صريحٌ في التشبيه ظاهرٌ في التجسيم، ثم هو إثبات صفاتٍ بما لا يحسن إثباته من الأحاديث المعلولة، وقد روينا عن أبي بكرٍ بن مسلم العائدي قال: "هذا الموضع الذي يَفضُل لمحمد ليجلس عليه"، وقد كان الأليق بهذا المتعبد أن يتشاغل بعبادته عن الكلام في هذا الفن.

وقد روى القاضي أبو يعلى (المجسم) عن الشعبي أنه قال: "إن الله تعالى قد ملأ العرش حتى أن له أطيطًا كأطيط الرحل".

قلت: هذا كذبٌ على الشعبي.

قال القاضي أبو يعلى (المجسم): "وغير ممتنع حمل الخبر على ظاهره في أن ذاته تملأ العرش"، ثم قال: "لا على شُغل مكان".

قلت: ومن يخلط هذا التخليط لا يُكلَّم، واعجبًا!!!، من يملأ مكانًا يشغله.

روى القاضي أبو يعلى (المجسم) عن خالد بن معدان أنه قال: "إن الرحمن ليُثقِل على حملة العرش"، وقال: "غير ممتنعٌ حمل هذا على ظاهره، وإن ثقله يحصل على وجه المماسة".

الحديث الحادي والأربعون

روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي سعيد رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: p يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ i .

قلت: انفرد بلفظ الصوت حفص بن غياث وخالفه وكيع وجرير وغيرهما من أصحاب الأعمش فلم يذكروا الصوت، وسئل الإمام أحمد عن حفص قال: " كان يخلط في حديثه".

وفي الحديث الصحيح: p إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا i ، فرواه بعضهم بالمعنى الذي يظنه فقال: "سمع صوته أهل السماء".

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: p إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصة كجر السلسلة على الصفا i ، وهذا مع اللفظ الأول أليق، وليس في الصحيح "سمع صوته أهل السماء".

الحديث الثاني والأربعون

روى جابر رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "لما كلم الله موسى عليه السلام يوم الطور كلمه بغير الكلام الذي به ناداه، فقال له: يا موسى إني كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ولي قوة الألسنة كلها وأنا أقوى من ذلك، فلما رجع إلى بني إسرائيل قالوا: صف لنا كلام الرحمن...؟، قال: لا أستطيع، قالوا: قربه لنا، قال: ألم تسمعوا صوت الصواعق التي تقبل بأجلى كلام سمعتموه قط".

قلت: هذا حديث لا يصح، يرويه علي بن عاصم عن الفضل بن عيسى، قال يحيى: "كذاب ليس بشيء"، وقال النسائي: "علي بن عاصم متروك الحديث"، وقال يزيد بن هارون: "ما زلنا نعرفه بالكذب".

وأما الفضل بن عيسى فقال أيوب السختياني: "لو خلق أخرس لكان خيرًا له"، قال ابن عيينة: "الفضل بن عيسى لا شيء"، وقال يحيى: "هو رجل سوء".

الحديث الثالث والأربعون

روى القاضي أبو يعلى (المجسم) عن حسان بن عطية أنه قال: "الساجد يسجد على قدم الرحمن".

قلت: هذا قول تابعي، وهو مثل المقرَّب من فضل الله تعالى، وأثبت القاضي أبو يعلى (المجسم) بهذا وصف قدم، وأنه يُسجد على قدمٍ حقيقة لا على وجه المماسة.

الحديث الرابع والأربعون

روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **p** جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَلَيسَ بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلا رِدَاءُ الْكِبْرِياءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ **i** .

قلت: الرائي هو الذي في جنة عدن لا المرئي؛ لأنه لا تحيط به الأمكنة سبحانه.

قال القاضي أبو يعلى (المجسم): "ظاهر الحديث أنه المرئي في جنة عدن".

قلت: وهذا هو التجسيم المحض، ورداء الكبرياء ما له من الكبرياء والعظمة، فكأنه إن منعهم فلعظمته وإن شاء كشف لهم.

وقد تكلمنا على الوجه في الآيات وقلنا المراد بالوجه هو ذات الله سبحانه.

الحديث الخامس والأربعون

روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **p** لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ[1] فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي **i** وفي لفظ: **p** سبقت **i** .

قال القاضي أبو يعلى (المجسم): "ظاهر قوله: **p** عِنْدَهُ **i** القرب من الذات".

واعلم أن القرب من الحق لا يكون بمسافة وإنما ذلك من صفة الأجسام، وقد قال سبحانه وتعالى: **[** مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ **]**(هود: من الآية 83).

الحديث السادس والأربعون

روي عن بعض التابعين أنه قال: "خلق الله آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده".

(1) يقول العلامة العيني في (شرح صحيح البخاري): "والعندية ليست مكانية بل هو إشارة إلى كمال كونه مكنونًا عن الخلق مرفوعًا عن حيز إدراكهم". (ز)

قلت: هذا حديث لا يثبت عن قائله، وقد تكلمنا عليه عند قوله تعالى: [لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ](ص: من الآية 75).

الحديث السابع والأربعون

روى ابن عباس رضي الله عنهما عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: [وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ](البقرة: من الآية 255) قال: "كرسيه موضع قدميه، والعرش لا يقدر قدره".

قلت: رواه جماعة من الأثبات فوقفوه على ابن عباس رضي الله عنهما، ورفعه منهم شجاع بن مخلد[1] فعلم بمخالفته الكبار المتقنين أنه قد غلط.

ومعنى الحديث: أن الكرسي صغير بالإضافة إلى العرش كمقدار كرسي يكون عنده سرير قد وضع لقدمي القاعد على السرير، قال الضحاك: "الكرسي الذي تجعل الملوك أرجلهم عليه"، وقال القاضي أبو يعلى (المجسم): "القدم قدم الذات، وهي التي يضعها في النار".

الحديث الثامن والأربعون

حديث العباس رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض، والله تعالى فوق ذلك" هذا حديث لا يصح تفرد به يحيى بن العلاء.

قال الإمام أحمد: "هو كذاب يضع الحديث"، وقال يحيى بن معين: "ليس بثقة"، وقال ابن عدي: "أحاديثه موضوعة"، وقد تكلمنا على الفوقية عند قوله تعالى: [وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ](الأنعام: من الآية 18).

قال القاضي أبو يعلى (المجسم): "المراد من الفوقية: استواء الذات على العرش"، وقال: "هو على العرش، ما حاذى العرش من ذاته فهو حدٌّ له، وما عدا الجهة المحاذية للعرش وهو الفوق والخلف والأمام واليسرة لا يحد".

قلت: هذا الكلام أصل التجسيم؛ لأن المحاذي يكون أكبر أو أصغر، والمقادير لا تكون إلا في الأجسام.

قال القاضي أبو يعلى (المجسم): "إذا ثبت أنه مستوٍ على العرش فهل يجوز أن نطلق عليه الجلوس والقيام، وما وجدت عن إمامنا في هذا شيئًا".

قلت: وكلا الشيئين لا يصح، أما لفظة القعود فقد رواها عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا يصح، وأما القيام فيرويها عيسى عن جابر عن عمر بن الصبح.

---

(1) يقول الحافظ ابن حجر في (تقريب التهذيب): "شجاع بن مخلد الفلاس أبو الفضل البغوي نزيل بغداد صدوق وهِمَ في حديث واحد رفعه وهو موقوف، فذكره بسببه العقيلي في (الضعفاء)". (ز)

قال البخاري: "قال عمر بن الصبح: أنا وضعت خطبة رسول الله"، وقال ابن حبان: "وكان يضع الحديث على الثقات، لا يصح كتب حديثه إلا على التعجب"، وقال الدارقطني: "متروك"، وقال الأزدي: "كذابٌ ذاهل".

قلت: وبمثل هذه يثبت لله صفةً، أين العقول؟!، تعالى الحق أن يوصف بقيامٍ وهو انتصاب القامة، إنما هو قائمٌ بالقسط، ولا يوصف بقعودٍ؛ لأنها حالة الجسماني.

الحديث التاسع والأربعون

روي في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **p** مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلا يَقْبَلُ اللَّهُ إلا طيِّبًا فإنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ **i** ، وفي لفظ أخرجه مسلم: **p** فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنْ الْجَبَلِ **i** .

قال العلماء: هذا خطاب للناس بما يعلمونه ويفهمونه من الأخذ والتربية والنمو، لما كان التناول باليد والقبض بالكف خاطبهم بما يعقلون، وإنما جرى ذكر اليمين؛ لأنها مُرصدة لما عزَّ من الأمور؛ ومعنى التربية المضاعفة.

الحديث الخمسون

روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه ذكر الدجال فقال: **p** أَلا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ **i** [1].

قال العلماء: إنما أراد تحقيق وصفه بأنه لا يجوز عليه النقص، والعور نقص، و لم يُرِد إثبات جارحة؛ لأنه لا مدح في إثبات جارحة.

قال ابن عقيل: "يحسب بعض الجهلة أنه لما نفى العور عن الله عزَّ وجلَّ أثبت من دليل الخطاب أنه ذو عينين، وهذا بعيدٌ من الفهم، إنما نفى عنه العور من حيث نفي النقائص كأنه قال: ربكم ليس بذي جوارح تتسلط عليه النقائص، وهذا مِثْل نفي الولد عنه؛ لأنه يستحيل عليه التجزؤ، ولو كانت الإشارة إلى صورة كاملة لم يكن في ذلك دليل على الإلوهية ولا

---

(1) لفظ الحديث في (صحيح البخاري): **p** أن الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينه وأن المسيح الدجال أعور عين اليمنى **i** ، وقد قال الحافظ ابن حجر: "إن الإشارة إلى عينه صلى الله عليه وآله وسلم إنما هي بالنسبة إلى عين الدجال فإنها كانت صحيحة مثل هذه ثم طرأ عليها العور لزيادة كذبه في دعوى الإلهية وهو أنه كان صحيح العين مثل هذه فطرأ عليها النقص و لم يستطع دفع ذلك عن نفسه" ا.هـ، وقال الفخر الرازي في (أساس التقديس) عند الكلام على هذا الحديث: "وأما هذا الخبر فمشكل؛ لأن ظاهره يقتضي أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أظهر الفرق بين الإله تعالى وبين الدجال بكون الدجال أعور وكون الله تعالى ليس بأعور وذلك بعيد، وخبر الواحد إذا بلغ هذه الدرجة في ضعف المعنى وجب أن يعتقد أن الكلام كان مسبوقًا بمقدمة لو ذكرت لزال هذا الإشكال، أليس راوي هذا الحديث هو ابن عمر، ثم إن المشهور أن ابن عمر رضي الله عنه لما روى حديث: **p** إن الميت ليعذب ببكاء أهله **i** طعنت عائشة رضي الله عنها فيه وذكرت أن هذا الكلام من سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان مسبوقًا بكلام آخر واحتجت على ذلك بقوله تعالى: **[** وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**]**(الأنعام: من الآية 164)، لو حكي لزال هذا الإشكال، فكذا هانا أنه من البعيد صدور مثل هذا الكلام من سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم" ا.هـ.

القدم، فإن الكامل في الصورة كثير"، قال: "ومن قال بدليل الخطاب فأثبت عينين قيل له: دليل الخطاب مختلفٌ في كونه دليلاً في أحكام الفقه وفروع الدين فكيف بأصوله، ثم هو عند من اعتقده حجةً يقضي عليه معنى النطق وهو القياس المظنون فكيف يكون له حكم الدليل وقد قضى عليه دليل العقل بالرد".

الحديث الحادي والخمسون

روى البخاري في أفراده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: p يقول الله عزَّ وجلَّ: ما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يَكره الموت وأكره مساءته i .

قلت: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: p كنت سمعه وبصره i فهو مثل وله ثلاثة أوجه:

أحدها: كنت كسمعه وبصره فهو يحب طاعتي كما يحب هذه الجوارح.

والثاني: أن جوارحه مشغولة بي، فلا يصغي إلى غير ما يرضيني ولا يبصر إلا عن أمري.

والثالث: أني أُحصل له مقاصده كما ينالها بسمعه وبصره ويديه اللواتي تعينه على عدوه.

والحق منزَّهٌ عن حقيقته، فهو كقوله: p ومن أتاني يمشي أتيته هرولة i ، وقال بعض العلماء: "لما كان المؤمن يمرض فيسأل العافية فيعافى كان ذلك كالتردد في إماتته، وأما التردد فخطاب لنا بما نعقل".

الحديث الثاني والخمسون

روى جبير بن مُطعم رضي الله عنه قال: أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَهِدَتْ الأَنْفُسُ وَجَاعَتْ الْعِيَالُ وَنُهِكَتْ الأَمْوَالُ وَهَلَكَتْ الأَنْعَامُ فَاسْتَسْقِ اللَّهَ لَنَا فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ وَنَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ، فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: p وَيْحَكَ، أَتَدْرِي مَا تَقُولُ، وَسَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وجهِ أَصْحَابِهِ فقَالَ: إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ، أَتَدْرِي مَا اللَّهُ؟، إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ هَكَذَا، وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ، وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ كَأَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ i (رواه أبو داود).

قلت: هذا الحديث تفرَّد بروايته محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة، وكلاهما لا يَحتج به أرباب الصحاح، قال أبو سليمان الخطَّابي: "هذا الحديث إذ أجري على ظاهره كان فيه نوعٌ من الكيفية، وهي عن الله وصفاته منفية، فعلم أنه كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله من حيث يدركه فهم السامع إذ كان أعرابيًا جلفًا لا علم له بمعاني ما دقَّ من الكلام".

ومعنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم p أتدري ما الله؟ i : أتدري ما عظمة الله وجلاله؟، ومعنى p يئط به i : أي يعجز عن جلاله وعظمته، إذ كان معلومًا أن أطيط الرحل بالراكب لقوة ما فوقه، أو لعجزه عن احتماله، فقرَّب بهذا النوع من التمثيل عنده معنى عظمة الله وجلاله ليُعلمه أن الموصوف بعلو الشأن لا يُجعل شفيعًا لمن هو دونه في القدْر، وقد ذكرنا فيما تقدم عن القاضي أبي يعلى (المجسم)أنه قال: "يئط من ثقل الذات"، وهذا صريح في التجسيم.

الحديث الثالث والخمسون

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم p أنه قرأ: [إِن الله كانَ سَميعًا بَصيرًا] فوضع إصبع الدعاء وإبهامه على عينيه وأذنيه i .

قال العلماء: "أراد بهذا تحقيق السمع والبصر لله تعالى فأشار إلى الجارحتين اللتين هما محل السمع والبصر، لا أن لله سبحانه جارحة".

الحديث الرابع والخمسون

روى أبو الدرداء رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: p إن الله عزَّ وجلَّ ينزل في ثلاث ساعات يبقين من الليل، فيفتح الذكر في الساعة الأولى، فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن وهي داره التي لم يسكنها غيره، وهي مسكنه، ثم يقول: طوبى لمن يسكنكِ، ثم ينزل في الساعة الثالثة إلى السماء الدنيا بروحه وملائكته ثم ينتفض فيقول: قومي بعزتي i .

قلت: هذا الحديث يرويه زيادة الأنصاري، قال البخاري: "هو منكر الحديث، وذكر له أهل الحديث هذا الحديث"، وقال أبو حاتم بن حبان: "يروى المناكير عن المشاهير، واستحق الترك".

وقد رواه أبو جعفر بن أبي شيبة فقال فيه: "زائدة: وهو غلط إنما هو زيادة".

ونقول: على تقدير الصحة إنما مضافة إليه كما أضيف البيت إليه يقال: هذا بيته وهذا مسكنه، وإنما قلنا هذا لأن السكنى مستحيلة في حقه.

الحديث الخامس والخمسون

روى أبو أمامة عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: p وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا وثلاث حثيات من حثياته i .

قلت: الحثية ملئ الكف، والمراد: التقريب بما يعقل لا حقيقة الحثية.

الحديث السادس والخمسون

روى أبو أمامة عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: p إن الله يجلس يوم القيامة على القنطرة الوسطى بين الجنة والنار i .

يرويه عثمان بن أبي عاتكة، وقال يحيى: "ليس بشيء".

الحديث السابع والخمسون

روى القاضي أبو يعلى (المجسم) عن محمد بن كعب القرظي قال: "إن الناس إذا سمعوا القرآن من فِي الرحمن كأنهم لم يسمعوه قط".

قال القاضي أبو يعلى (المجسم): "ولا يمتنع أن يطلق الفم عليه".

قلت: واعجبًا يعني أن للرحمن فمٌ، فيثبت لله صفة بقول تابعي لا تصح الرواية عنه، هذا من أقبح الأشياء.

فأما الحديث الذي قد سبق عن أبي أمامة عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: p ما تقرب إليَّ بمثل ما خرج مني i فالمعنى: خرج عنه، ولا يجوز أن يظن أنه كخروج جسم من جسم؛ لأن الله عزَّ وجلَّ ليس بجسم ولا كلامه جسم.

الحديث الثامن والخمسون

روينا عن سهل بن سعد عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "دُونَ اللهِ سَبْعُونَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ، وَمَا تَسْمَعُ مِنْ نَفْسٍ شَيْئًا مِنْ حِسِّ تِلْكَ الْحُجُبِ إِلا زَهَقَتْ"(رواه الطبراني).

قلت: هذا حديث لا أصل له، يرويه موسى بن عبيد، قال أحمد: "لا يَحِلُّ عندي الرواية عنه"، قال يحيى: "ليس بشيء"، وموسى يرويه عن عمر بن الحكم، قال البخاري: "عمر ذاهب الحديث".

الحديث التاسع والخمسون

رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إن لله للوحًا أحد وجهيه درة والآخر ياقوتة، قلمه النور، فبه يخلق وبه يرزق وبه يحيى وبه يميت، ويعز ويذل ويفعل ما يشاء في يوم وليلة".

قلت: هذا الحديث موضوع، يرويه محمد بن عثمان وهو متروك.

الحديث الستون

روى جابر رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: p إذا رأيتم الريح فلا تسبوها، فإنها من نفس الرحمن، تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب، فاسألوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها i .

قلت: النفس بمعنى التنفيس عن المكروب[1]، ومثله ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: p إني لأجد نفس ربكم من قِبَل اليمن i .

يعني تنفيسه عن المكروب بنصرة أهل المدينة إياي، والمدينة من جانب اليمن، وهذا شيء لا يختلف فيه المسلمون. وقال ابن حامد (المجسم): "رأيت بعض أصحابنا يثبتون لله تعالى وصفًا في ذاته بأنه يتنفس"، قال: "وقالوا الرياح الهابة مثل الرياح العاصفة والعقيم والجنوب والشمال والصبا والدبور مخلوقة إلا ريحًا من صفاته هي ذات نسيم حياتي وهي من نفس الرحمن".

قلت: على من يعتقد هذا اللعنة؛ لأنه يثبت جسدًا مخلوقًا، وما هؤلاء بمسلمين.

خاتمة

قال المصنف: ولما علم بكتابي هذا جماعة من الجهال لم يعجبهم لأنهم أَلِفوا كلام رؤسائهم المجسمة فقالوا: ليس هذا المذهب.

قلت: ليس بمذهبكم ولا مذهب من قلدتم من أشياخكم، فقد نزهت مذهب الإمام أحمد رحمه الله ونفيت عنه كذب المنقولات وهذيان المقولات، غير مقلد لهم فيما اعتقدوه، وكيف أعتقد هرجًا وأنا أنتقده.

قلت:

سبقت بحمد الله من كان من قبلي … فقل للذي يرجو لحاقي على مهل
وإنكم لو تنقصون عتابكم … لعز على التفتيش أن تجدوا مثلي

وقلت قصيدة مطولة وهي هذه:

حمدت إلهي كيف لا وله الفضل … كما قد تولاني فذلت لي السبل
وأخرجني من بين أهلي مفهما … وعلمني حتى غدت قيمتي تعلو
وحركني للمكرمات أحوزها … فهمة نفسي دائما أبدًا تعلو
وألهمني للعلم حتى ملكته … فصار مرير الصبر عندي فمي يحلو

---

(1) يقول الزمخشري في (أساس البلاغة): "ومالي نفس أي فرج"، وقال ابن قتيبة: "وقد فرَّج الله عن نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالريح يوم الأحزاب، قال تعالى: [فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا](الأحزاب: من الآية 9).

وشـــغلي كســـب العلـــم قوتًـــا لقـــوتي ... وقـــد نُســـي المطعـــوم والشـــرب والأكـــل
وقـــد زاد عشـــقي للعلـــوم فأصـــبحت ... كتمثـــال ليلـــى عنـــد قـــيس فمـــا يســـلو
فمـــا مـــن علـــوم بثهـــا الله في الـــورى ... إلى خلقـــه الألى إلا ولي معهـــا وصـــل
وصـــنفت مـــا قـــد صـــنف النـــاس جنســـه ... فيـــا قاصـــدي الإنصـــاف لي ميـــزوا وأبلـــوا
ولي مـــن بـــديهات الكـــلام عجائـــب ... تكـــر عليـــهم كلمـــا كـــررت تحلـــو
وقـــد قـــادني علمـــي إلى الزهـــد في الـــدنا ... ومـــا جمعـــا إلا لعبـــد لـــه فضـــل
نعـــم وتقـــاة الله أشـــرف خلقـــه ... ولا خـــير في قـــول إذا ضـــيع الفعـــل
قنـــوعي بمـــا يكفـــي يقـــيني مـــن الأذى ... وبعـــد يقـــيني بالمقـــادير لا ذل
وأحســـن مـــن علـــم ترامـــى بأهلـــه ... إلي بمخلـــوق يماثلـــه الجهـــل
وأســـكن قلـــبي حـــب كـــل محقـــق ... يعشـــق كمـــا قـــد تعشـــق الأعـــين البخـــل
وبغـــداد داري لـــيس يغـــبن أهلـــها ... ومـــا جهـــم إلا لمـــن مـــا لـــه شـــكل
وكـــل النـــواحي أشـــحنتها فضـــائلي ... أَقـــرَّ بفضـــلي الريـــف والحـــزن والســـهل
وذكـــري وراء النـــهر بالفضـــل وافـــد ... وفي المغـــرب الأقصـــى ومـــا بلغـــت إبـــل
ولمـــا تأملـــت المـــذاهب كلـــها ... طلبـــت الأســـدَّ في الصـــواب ومـــا أغلـــو
فألفيـــت عنـــد الســـير قـــول ابـــن حنبـــل ... يزيـــد علـــى كـــل المـــذاهب بـــل يعلـــو
وكـــل الـــذي قـــد قالـــه فمشـــيد ... بنقـــل صـــحيح والحـــديث هـــو الأصـــل
وكـــان بنقـــل العلـــم أعـــرف مـــن روى ... بقـــوم مـــن الســـادات مـــا شـــأنهم عظـــم
ومذهبـــه أن لا يشـــبه ربـــه ... ويتبـــع في التســـليم مـــن قـــد مضـــى قبـــل
فقـــام لـــه الحســـاد مـــن كـــل جانـــب ... فقـــام علـــى رجـــل الثبـــات وهـــم زلـــوا
وكـــان لـــه أتبـــاع صـــدق تتـــابعوا ... فكـــم أرشـــدوا نحـــو الهـــدى وكـــم دلـــو
وجـــاءك قـــوم يـــدعون تمـــذهبًا ... بمذهبـــه مـــا كـــل زرع لـــه أكـــل
فـــلا في فـــروع يثبتـــون لنصـــرة ... وعنـــدهم مـــن فهـــم مـــا قالـــه شـــغل
إذا نـــاظروا قـــاموا مقـــام مقاتـــل ... فواعجبـــا والقـــوم كلـــهم عـــزل
قياســـهم طـــردا إذا مـــا تصـــدروا ... وهـــم مـــن علـــوم النقـــل أجمعهـــا عطـــل
إذا لم يكـــن في النقـــل صـــاحب فطنـــة ... تشـــابهت الحيـــاة وانقطـــع الحبـــل
ومـــالوا إلى التشـــبيه أخـــذا بصـــورة ... لمـــا نقلـــوه في الصـــفات وهـــم غفـــل

وقـــالوا الـــذي قلنـــاه مـــذهب أحمـــد ... فمـــال إلى تصـــديقهم مـــن بـــه جهـــل
وصـــار الأعـــادي قـــائلين لكلنـــا ... مشـــبهة قـــد ضـــرنا الصـــحب والخـــل
فقـــد فضـــحوا ذاك الإمـــام بجهلـــهم ... ومذهبـــه التنزيـــه لكـــن هـــم اختلـــوا
لعمـــري لقـــد أدركـــت منـــهم مشـــايخًا ... وأكثـــر مـــن أدركتـــهم مـــا لـــه عقـــل
ومـــا زلـــت أجلـــوا عنـــدهم كـــل خصـــلة ... من الاعتقـــاد الـــرذل كـــي يجمـــع الشـــمل
تســـموا بألقـــاب ولا علـــم عنـــدهم ... موائـــدهم لا حـــرم فيهـــا ولا حـــل
موائـــدهم لا يلحـــق الخـــل بقلـــها ... وإن شـــئت لا خـــل لـــديهم ولا بقـــل
وأكثـــر حســـاد لنـــا أهـــل مـــذهبي ... فلـــو قـــدروا أفتـــوا بـــأن دمـــي حـــل
تمنـــوا بجهـــل أن تـــزل بي الهـــوى ... و لم تمـــش في مجـــد بمثلـــي لهـــم رجـــل
ومنـــذ مضـــى شـــيخ الجماعـــة أحمـــد ... إلى الآن لم يوجـــد لعـــالمكم مثـــل
لقـــد بـــات عنـــدي ألـــف ألـــف تقـــدموا ... ســـحابة وغطـــى كلـــهم صـــيب وبـــل
وروضـــة علمـــي كلـــها ممـــرع الحبـــا ... وبســـتانهم إذا مـــا تأملتـــه أثـــل
ومـــا زالـــت الحســـاد تحســـد كـــاملاً ... ينقصـــهم والغـــل لـــو فهمـــوا غـــل
وكيـــف تـــرى بـــرَّ الحســـود وداؤه ... إذا ســـئل الطـــب الخـــبير بـــه ســـل
تفـــرد بـــالبغض القبـــيح مخـــالف ... ألـــيس اجتمـــاع النـــاس لي شـــاهد عـــدل

تم الكتاب بعون الملك الوهاب، والحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا.